وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مهمة الجاسوس ليون روش في الجزائر

(1832 – 1847م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ حديث و معاصر

إعداد الطالبة :

-عيشاوي نورة

إشراف الدكتور: الشافعي درويش

مساعد المشرف: أ / الدهمة بكار

اللجنة المناقشة :

أ.د/ بن قومار جلول	ـ رئيسا
أ.د/ الشافعي درويش	ـ مشرفا مقررا
أ / تريعة موسى	ـ مناقشا
أ / الدهمة بكار	ـ مشرفا مساعدا

الموسم الجامعي

1437-1438 هـ/2016-2017 م

الإهـــــــداء

إهدائي إلى كل من يحمل لواء العلم والمعرفة بكفاءة

وجودة ،

ونزاهة ،

واخلاص ،

إلى والدي الكريمين ، أخي وأخواتي ،صديقاتي ،إلى كل
من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد ،

أهدي ثمرة جهدي ،

إلى أساتذتي الأفاضل ،

زملائي الطلبة ،

نـــــــورة

كلمة شكروتقدير

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ،اللهم لك الحمد والشكر

والثناء على توفيقك وتيسيرك سبل الخير لنا.

بعدختام عملنا نتوجه بعبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف

درويش الشافعي، الذي مهما شكرناه لانوفيه حقه ،وإلى الأستاذ

المشرف المساعد دهمة بكار.

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إطار

هذه الدراسة من قريب أو بعيد ،ولو بكلمة طيبة زرعت التفاؤل في

دربنا.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى طاقم قسم التاريخ أساتذتنا

الأفاضل الذين قدموا لنا الكثير، وزملائي الطلبة والطالبات دفعة

2016/ 2017م.

قائمة المختصرات :

الرمـــــــــــز	معنـــــــــــاه
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
مج	مجلد
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	مجموعة صفحات
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
p	page
op-cit	opere-citato
n	numéro

مقدمة

مقدمـــة :

عندما نذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر ،يتبادر إلى الأذهان موقفه من اللغة العربية ،والمشهور عنه أنه حارب هذه اللغة بمختلف الوسائل ،وبحثنا هذا ليس تأكيدا أو نفيا لهذا الموقف وإنما يتناول جانبا آخر ،وهو توظيف الفرنسيين للغة العربية لمصالحهم الاستعمارية في الجزائر والطرق التي استعملوها للوصول إلى ذلك الهدف والأشخاص المجندين لتحقيقه.

كما أن المطلع على تاريخ الجزائر في الحقبة التي سبقت الاحتلال الفرنسي وما بعدها ,يدرك أن الفرنسيين قبل إقدامهم على غزو الجزائر ,قاموا بدراسة الوضع هناك ,فالحملات الاستعمارية الكبرى باتجاه العالم الإسلامي كانت تسبقها حملات مركزة للجوسسة ، والعادة أن من يقوم بهذه المهمة مجند عسكري لديه خبرة واسعة ،وأكبر مثال على ذلك الجاسوس بوتان الذي أرسله نابليون بونابرت ...،لكن بعد الغزو العسكري سرعان ما اكتشف المستعمرون أن هناك مساحات لا زالت مجهولة ،فاحتلال الشعوب يقتضي التعرف بدقة على جغرافيتهم النفسية وخريطة عقولهم ،وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حركة الجوسسة الاستعمارية الفرنسية ،وذلك بتجنيد الرجال والنساء ليتغلغلوا وينفذوا إلى أعماق النسيج الاجتماعي الجزائري ،فمن هنا تتضح العلاقة التي تربط بين توظيف الفرنسيين للغة العربية خدمة لمصالحها الاستعمارية ،وبين تجنيد الرجال والنساء للتغلغل في أعماق المجتمع الجزائري ،فاشترطت في المجندين معرفتهم للغة العربية ،للقيام بعمليات جوسسة على أبطال مقاومة الجزائر ،على غرار ما حدث مع الجاسوس ليون روش في جيش الأمير عبد القادر ،والذي لم ينتهي دوره عند هذا الحد ، وإنما تعداه إلى مهمات عديدة كان منطلقها الأول من الجزائر خدمة لمصالح فرنسا أين حاولت ضبط عنوان الدراسة في :

مهمة الجاسوس ليون روش في الجزائر (1832–1847م)

دوافع اختيار الموضوع:

أما عن دافعي لاختيار الموضوع : فانه وخلال عمليات البحث عن موضوع للدراسة ، استوقفتني العبارة : " **كيف استطاع هذا الجاسوس استغفال الأمير؟** "وهذا ما لفت انتباهي للبحث في هذا الموضوع علني أجد التفسير والجواب لهذا السؤال ،كما أن الموضوع نتناوله في دراستنا لتاريخ الجزائر الحديث ,ونريد من خلاله رفع تلك المغالطة الموجودة في الكتب الأجنبية وبعض الكتابات العربية ،في أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا جواسيس بل قدموا أعمال حضارية كبيرة .

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

حدد الإطار الزماني للدراسة في الفترة الممتدة من سنة 1832م إلى سنة 1847م ،وهي فترة إقامة الجاسوس الفرنسي ليون روش في الجزائر أثناء تأدية مهامه ،إلا أن الإطار المكاني للدراسة قد تعدى مكان الإقامة ،مع تنوع المهام والتي كان منطلقها الوحيد هو الجزائر مرورا بتونس ثم مصر ،فالحجاز ومنها العودة إلى الجزائر ،والسير مرة أخرى في مهمة جديدة إلى المغرب .

إشكالية الدراسة :

إن المثير للتساؤل في سر مهمة ليون روش هو الدافع الذي كان يحركه ليفعل كل ما فعل :

هل حبا منه للمغامرة ؟ ،أم أن هناك أيد خفية كانت تنسج مصيره ؟

ومن أجل دراسة الموضوع واثرائه طرحت مجموعة من الإشكاليات :

01 – فمن هو ليون روش ؟

02 – وما الهدف الحقيقي وراء تعلمه اللغة العربية ؟

03 – فيم تمثل دوره اثر تقربه من جيش الأمير عبد القادر ؟

04 – وما سر المهمة التي أداها لصالح الاستعمار الفرنسي ؟

عرض أهم المصادر والمراجع المعتمدة ونقدها :

إن جل الكتابات التي تناولت الموضوع كتابات فرنسية ،وأهم ما اعتمدنا عليه نذكر:

1 – مذكرات ليون روش سواء الأجنبية المعنونة ب:

Dix ans a travers l'islam1834 – 1844:

أو كتاب : **اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام** ،(مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز)، إلا أن الكتاب الأول أشمل من الكتاب الثاني ،حيث أنه يتطرق إلى حياة روش منذ دخوله الجزائر وتوليه أولى مهامه ،إلى غاية إنهاء آخرها بالتدخل في العلاقات المغربية الجزائرية ،بينما الكتاب الثاني لم يتطرق إلى المهمة الأولى والأخيرة وإنما تطرق للمهمة الثانية وهي استصدار الفتوى ورحلته إلى الحجاز.

2 – Narcisse Faucon :**le livre d'or d'Algérie** :

والذي تناول الدور الذي لعبه ليون روش في الجيش الإفريقي إلى جانب المارشال كلوزيل ،وهو الموقف الذي استطاع روش من خلاله التوغل في الجيش الفرنسي.

بعض المقالات المهمة من المجلة الإفريقية أهمها:

3 –Marcel Emrit : **la légende de Leon Roches** :

والذي تناول الفترة الأولى من دخول روش إلى الجزائر بالشكل المختصر ،ثم التفصيل في الرحلة إلى الحجاز ،وما زادت المقال أهمية هو المراسلات التي كانت تتم بين الجاسوس وبين المارشالات في الجزائر أثناء تأدية مهامه .

4 – Georges Yver : **Abdelkader et le Maroc en 1838** :

خاصة فيما يتعلق بالعلاقة التي تربط الأمير عبد القادر مع شيخ الطريقة التجانية سيدي احمد بن سالم التجاني.

أما عن الكتابات العربية فلم نجد أهم من :

5 – الدكتور يوسف مناصرية : **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832 – 1847م)** وهو الكتاب الذي ساعدنا كثيرا في تناول الموضوع.

6 – بالإضافة إلى بعض المراجع الأخرى أهمها مقالات للدكتور أبو القاسم سعد الله في العديد من كتاباته التاريخية.

7 – أما عن الرسائل الجامعية فلم نتمكن من العثور على المتخصصة منها في الموضوع باستثناء مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس للطالب : جيدل عبد العزيز بعنوان: **نماذج عن الجوسسةالفرنسية في الجزائر في القرن ال 19م** ،كان قد تطرق الطالب في دراسته للجاسوس ليون روش كنموذج ،هي الأخرى كنا قد استفدنا منها كثيرا ،خاصة في طريقة تناول الموضوع،يضاف إلى هذه المذكرة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،للدكتور : فارس العيد تحت عنوان: **علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848 – 1930م)** ،استفذنا منها على الخصوص فيما تعلق بالفصل الأخير ،بالإضافة إلى رسالة لنيل شهادة ماجيستير من إعداد الطالبة قبقب الزهرة بعنوان : **الأمير عبد القادر في الأسر (1849–1852م)** .

المنهج المتبع :

أما عن المنهج المعتمد في الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي ، وصف اللأحداث وترتيبها وفق تسلسلها الزمني ،بغية تقصي الوقائع التاريخية ،تخلله المنهج التحليلي لربط هذه الأحداث التاريخية مع ما زامنها من وقائع ،تحليلا للمعطيات .

خطة الموضوع :

تمت الإجابة على هذه الإشكاليات من خلال خطة عمل احتوت على ثلاث فصول ،مقدمة وخاتمة كالآتي :

الفصل الأول: تناولنا التعريف بالجاسوس ليون روش وقدومه إلى الجزائر ثم التحاقه بدولة الأمير عبد القادر عند تكليفه بأول مهامه .

أما **الفصل الثاني** :سيتم التطرق فيه إلى انسحابه من جيش الأمير وعودته إلى الجيش الفرنسي ،ليكلف بالمهمة الثانية أين انطلق من الجزائر متجها إلى الحجاز مرورا بتونس فمصر،لاستصدار فتوى تحرم على المسلمين محاربة المسيحيين .

أما **الفصل الثالث** : والمعنون بطبيعة العلاقات الجزائرية المغربية ودور ليون في رسمها،عندما قام بالتدخل والعمل على تأمين القوات المغربية إلى جانب فرنسا ،وعداء سلطان المغرب للأمير ،بعد أن كان هذا الأخير يلجا إلى أراضيها .

أما **الخاتمة** فقد تضمنت ملخصا لما جاء في الدراسة ،والتي تبين آراء ومواقف روش التخريبية للقضاء على المقاومة الجزائرية .

الصعوبات التي واجهتني أثناء انجاز هذا الدراسة :

فبالرغم من الدافع المحفز لتناول الموضوع ،إلا أن عملية البحث والاطلاع ،تخللتها العديد من الصعوبات ،في أننا لم نجد كتابات عربية تناولت الموضوع خاصة في الفترة الأولى من تواجد روش في الجزائر (المهمة الأولى وهي التجسس على الأمير) باستثناء الدكتور يوسف مناصرية ،والملاحظة الثانية إذ أنه ومثلا كتاب ابن الأمير مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري (تحفة الزائر) لم يتطرق فيه إلى قصة روش أو خيانته لأبيه ،علما أن الكتاب يعتبر المصدر الأول الذي أرخ لحياة الأمير عبد القادر ،وغيرها من المراجع التي تطرقت لحياة الأمير ،وأن الذين تطرقوا للموضوع جلهم كتابات أجنبية فرنسية تتضح في مؤلفاتهم أو حتى في مقالاتهم الانحياز الواضح في تفسيرهم للأحداث .

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل المتواضع ،الذي لا يزال في العديد من جوانبه بحاجة إلى دراسات أخرى تزيده عمقا وتكاملا ،كما لابد لنا أن ننوه بفضل الأستاذين الأستاذ المشرف والأستاذ المساعد ،اللذان قدما لنا النصح والإرشاد ،ولم يبخلا علينا بشيء فلهما عنا جزيل الشكر.

الفصل الأول

ليون روش في الجزائر (1832-1839م)

الفصل الأول : ليون روش في الجزائر (1832 – 1839 م)

ليون روش شخصية مغامرة ،يمتلك ذكاء حادا وجرأة في نشاطه ،ومما سهل له الأمر هو معرفته الجيدة للغة العربية ،التي تمكن من خلالها معرفة ذهنيات المسلمين وعاداتهم ، وأن يكون من الذين مروا على هيئة المترجمين العسكريين [1] والذين ساهموا في تقديم خدمات جليلة للجيش الافريقي ،وزيادة على تلك الخدمات التي قام بها في مجال الدبلوماسية في المغرب على أحسن وجه[2] .

[1] في شهر جانفي1830 م عهدت وزارة الحربية الفرنسية إلى العقيد كلار مونت تونار ،احد اعضاء هيئة الاركان الحربية الذي كان متضلعا في اللغات الشرقية ،ففتح مكتبا خاصا بتجنيد الموظفين الراغبين في الالتحاق بهذه الهيئة ،وتكونت لأول مرة تحت قيادة الجنرال لو فاردو ،أطلق عليها اسم هيئة المترجمين والمرشدين العسكريين ،وقد كان من بين المترجمين الأوائل الملتحقين بها ،مترجمي جيش بونبارت في الحملة الفرنسية على مصر ،ولم تكن تضم في البداية إلا 23 شخصا . ينظر : عبد العزيز جيدل: **نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن ال 19م** ،مذكرة لنيل شهادة الليسانس،جامعة الجزائر 2008– 2009م ،صص3 - 4.

[2] يوسف مناصرية : **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 – 1847 م** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990م ،ص 13.

المبحث الأول : ليون روش قبل التحاقه بجيش الأمير (1832 – 1837 م)

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل [1] بفرنسا في 27 سبتمبر 1809 م الموافق ل 1224 هـ ، من أبوين فرنسيين ،وتربى عند خالته السيدة ليون شامبانو بعد وفاة أمه ،توفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901 م الموافق ل 1319 هـ ،بدأ دراسته في ثانوية غرونوبل وأتمها في ثانوية تورنون التي نال منها شهادة البكالوريا سنة 1828 م الموافق ل 1244 هـ ، كما دخل معهد الحقوق في غرونوبل لمدة ستة اشهر ،وكان واسع الطموح ميالا إلى المغامرة بعد أن انقطع عن الدراسة واتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا ،كان صديقا قديما لأبيه وقد كلفه هذا التاجر بمهمة تجارية مكنته من زيارة كل من كورسيكا وسردينيا وجينوه ، وقد كان عمره آنذاك 21 سنة كما زار جل أنحاء إيطاليا الشمالية[2]كان يتحدث اللغة الإنجليزية والإيطالية بشكل جيد .

وكان أبوه روش ألفونس ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر ،وذلك منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية 1830 م الموافق ل 1246 هـ ،وقد اهتم بالعمل الفلاحي في ضواحي الجزائر وامتلك مزرعة في سهل متيجة ،ونظرا لتعدد مهامه كتب إلى ابنه ليون يطلب منه الحضور إلى جانبه ليساعده في الفلاحة بعد أن غاب عنه مدة أربع سنوات ،وقد لبى روش رغبة أبيه وغادر مدينة مرسيليا في منتصف سنة 1832 م الموافق ل 1248 هـ على متن باخرة فرنسية تحت قيادة السيدان ماريون ولوجراند [3] وقد وصل بعد رحلة دامت اثنا عشرة يوما إلى ميناء مدينة الجزائر

---

[1] مدينة فرنسية تقع في جنوب شرق البلاد ،وعاصمة مقاطعة ايزير ،عاصمة اقليم دوفينيتاريخيا يمتد تاريخ المدينة عبر أكثر من 2000 سنة في الفترة الرومانية كانت تسمى كولارو ثم غراتيانوبوليس . ينظر : ابو القاسم سعد الله : **بحوث في التاريخالعربي الإسلامي** ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 2005 م ،هامش ص 322 .

[2] Leon Roches : **dix ansa trévères l'islam 1834 _ 1844**;PARIS، pp 1 - 2 .

ينظر أيضا : يوهان كارل بيرنت : **الأمير عبد القادر**،تر ،تق : أبو العيد دودو ،دار هومة ،الجزائر ،2012م ،ص ص172– 173 .

[3] انتهى كل منهما الى رتبة جنرال . ينظر : Roches :op.cit. ; P 4

،وبالتحديد في 30 جوان 1832م ،ويصف سعادته لحظة دخول الجزائر ولقاء أبيه ،إذ يقول لقد تركني مراهقا وإذا به يجدني رجلا بشواربه ولحيته [1].

واستقر في منزل أبيه في منطقة ابراهيم رايس وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر على بعد ستة كيلومترات من مدينة الجزائر تقريبا وكانت مزرعته تتسع الى 20 هكتار ،يقوم بخدمتها بعض الأهالي ولكي يساعد والده كان لابد على ليون ان يتعلم اللغة العربية ، يقول انه " اندفع إلى تعلم اللغة العربية ليستطيع التكلم مع فتاة جزائرية كان قد عشقها " ،والأرجح أنه كان مجبورا على تعلمها للاتصال مع الذين يعملون في مزرعة أبيه ،فكان ملزما على ذلك قبل التعرف على هذه الفتاة التي تدعى خديجة[2] .

ولم يتمكن روش من التأقلم مع البيئة الجزائرية إلا بعد مرور قرابة النصف سنة ، بعد أن تعرف على احدى النساء الحضريات تدعى نفيسة ،يذكر ليون أنها تكون أرملة وكيل الخرج (وزير البحرية)[3] ،ما قبل الأخير لدى آخر دايات الجزائر[4] .

نفيسة تملك المقاطعة المجاورة لأبيه ،كان عمرها 60 سنة ،وبقول ليون فقد كانت تربطها علاقة حب قديمة مع أحد الأوربيين ،اين أحسنت استقباله ،فأصبح يزورها باستمرار ،كما كانت

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص13 – 14 .

[2] Marcel Emrit : **la légende de Leon Roches** ,in**Revue Africaine** ,1947, p 82 .

[3] ربما اختلط الأمر على روش ما بين وكيل الخرج والآغا ولذلك اعتقد أنه يقصد ابراهيم صهر الداي حسين ،عين خلفا ليحي اغا ،وكان ابراهيم اغا ضعيفا لا يعرف خداع الحرب ففشل أمام القوات الفرنسية في معركتي سيدي فرج وسطوالي سنة 1830م ،فعزله الداي حسين وعين مكانه باي التيطري . ينظر : حمدان بن عثمان خوجة : **المرآة**،تعريب : العربي الزبيري ،الجزائر ،1975 م ،صص183 – 184 .

[4] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص14 .

تحتضن ابنة وكيل الخرج [1] ،الذي خلف ابنة من امرأة جرجية واسمها خديجة ،وهي تحسن القراءة والكتابة باللغة العربية ،فتعرف عليها ليون وأحبها .

وتعرف ليون ايضا على رئيس مجلس قضاء حين ذاك ، فدعاه هذا الأخير لتناول وجبة الغذاء معه ،ولم يخرج ليون من عنده إلا متحمسا لتعلم العربية لهدفين أساسيين بالنسبة له ،الأول : هو التمكن من مساعدة أبيه في الاتصال بأجرائه في المزرعة ،والثاني : التحاور مع عشيقته خديجة، فدلته العجوز نفيسة على أستاذ مسلم جزائري الدار ،أندلسي الأصل ،كان صديقا قديما لزوجها،واسمه عبد الرزاق بن بسيط [2] ،ورغم أن هذا الاخير لا يعرف اللغة الفرنسية وليون يجهل العربية فقد استطاع ليون وفي مدة 8 أشهر حسب قوله أن يتكلم مع أستاذه باللغة العربية ،فأحبه لفطنته ،وسرعة ذكائه ولم يكتفي ليون بدروس أستاذه فقط ،بل راح يمرن لسانه على التكلم بالعربية في المقاهي الشعبية وحضور جلسات قضاء المسلمين [3] ،والخروج مع الفلاحين أجراء أبيه إلى الصيد ،فانطلق لسانه وصار يتكلم لغة الأهالي ويفهمها ،فقد عمت علاقته معهم ويقول ليون أنه راسل خديجة عن طريق أستاذه وزوجته ،بالاتصال مع مسعودة خادمة خديجة ،وحسب رأي الدكتور يوسف مناصرية الذي يقول أنه يستبعد تدخل الأستاذ في الموضوع لأن اختراق حرمة رجل مسلم محرم في الإسلام خاصة إذا كان الأستاذ مسلما كما أكده ليون بنفسه[4] .

---

[1] الظاهر أنها ابنة باي التيطري الذي خلف ابراهيم اغا ويستبعد أن تكون ابنة يحي اغا .ينظر :يوسف مناصرية :المرجع السابق ،هامش ص 70 .

[2] هو من العائلات العريقة في مدينة الجزائر ،والتي كانت تتوارث وكالة ضريح سيدي هلال بها ،وكان قد تولى هذه الوكالة أثناء الستينات من القرن التاسع عشر ،ينظر : ابو القاسم سعد الله : **بحوث في التاريخ** ..،المرجع السابق ،هامش ص 323.

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 14 .

[4] Roches : op.cit. ;pp 22 – 23 .

هذا بالنسبة لأولى اتصالات روش بالأهالي ،أما عن اتصالاته بالأوربيين فيذكر أنه قضى كل الفترة الواقعة ما بين شهر نوفمبر 1832 م الموافق ل 1248 هـ ،وشهر أوت 1833 م الموافق ل 1249 هـ في الخروج إلى الصيد مع العديد من الضباط الفرنسيين ،الذين ينتمون الى فرقة القناصة[1] كان قد تعرف عليهم بواسطة السيدين ماريون ولوجراندالسابقي الذكر ،كما تعرف على بعض ضباط البحرية أيضا[2].

وفي منتصف سنة 1833 م الموافق ل 1249 هـ ،قدمه والده إلى كل من الدوق دي روفيجو[3]،حاكم الجزائر العام آنذاك والسيد جانتي مسؤول المصالح المدنية ،والسيد كوتان رئيس بلدية الجزائر وفي هذا الوقت تم انشاء هيئة الحرس الوطني ، فعين ليون روش برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة ،وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة التي كان يقودها في منطقة هضاب متيجة[4].

وليسمع أخبارا عن عشيقته ،لم ينقطع ليون عن زيارة العجوز نفيسة ،فتعرف في بيتها على أحد الجزائريين يدعى سيدي مُحَمَّد بن عمر باشا [5] .وكان هذا الرجل في حاجة ماسة إلى وساطة لقضاء حاجة له عند الحكام الفرنسيين ،فساعده ليون ونال بذلك صداقته واخلاصه ،حتى ان ابن الباشا عرفه على زوجته لالة عائشة ،وذكر ليون أنها قريبة الحاج أحمد باي ،باي قسنطينة ،ومن كثرة محبتهم واحترامهم له كانت ابنتهم تناديه عمي ليون .

---

[1] فرقة قناصي افريقيا ،انشئت سنة 1831م ،مشكلين فيالق مختلفة ،في البداية كانوا كتيبتين من الخيالة الخفيفة ،الأولى في الجزائر والثانية في وهران ،كانت مشكلة من ستة سرايا كل سرية تضم40 فارس ،ألغيت سنة 1839م ثم عادت للظهور سنة 1844م .ينظر : Narcisse faucon : **le livre d'or d'Algérie** (**1830 _ 1889**) ;Paris ;p p 127- 128.

[2] Roches : op.cit. ;pp 17 – 18 .

[3] سياسي وعسكري فرنسي ،ولد سنة 1774م في مارك استوفريا (اقليم الاردان) ،شغل منصب الحاكم العام في الجزائر بين سنتي 1831م – 1833م ،توفي سنة 1833م اثر مرض أصابه بباريس ،تميز حكمه بالعنف العسكري وسفك الدماء .

[4] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 15 .

[5] Roches : op.cit. ; P30 .

وتوطدت العلاقة حتى أن روش صار يقضي لياليه كلها ساهرا وإلى ساعات متأخرة من الليل مع سيدي مُحَمَّد بن عمر باشا [1] وأخيه عمر ،ولما قدمت اللجنة الافريقية الأولى [2] إلى الجزائر سنة 1833م الموافق ل 1249هـ لتبحثأحوال الجزائر ،وتقدم تقريرا للحكومة الفرنسية بعد عودتها، وقد تلقى روش الأب زيارة بعض أعضائها وعلى رأسهم السيدان بيسكاتوري ولورانس ،وكان هذا الأخير مكلفا بتنظيم شؤون العدالة وحضر هذا الاستقبال الذي جرى في منزل ألفونسو روش بإبراهيم رايس ،عدد من الجزائريين ربما أن المناقشة كانت تدور باللغة الفرنسية ،فقد كلف ليون نفسه مهمة القيام بالترجمة بين أعضاء اللجنة العرب والحاضرين [3] ،ونظرا لطلاقة لسانه فقد اعتقد أعضاء اللجنة أنه قدم من المشرق ،وذلك لأنه في بداية الاحتلال كانت فرنسا تستقدم المترجمين من الجيش المصري مثل دي لابورت والأب زاكار[4] .

ويبدو أن عدم وجود مترجمين يحسنون اللغة العربية بلسان الجزائريين ،قد ساعد على تعيين روش ترجمانا محلفا للجنة من طرف السيد لورانس ،في كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية والقضايا المدنية الخاصة بالعرب ،وكان يكسب من هذه الوظيفة التي يمارسها بصورة ثانوية ،ما بين 12 ألف

---

[1] كان أبوه عمر باشا قد حكم الجزائر من 1815م الى 1817م ،في عهده تعرضت الجزائر لحملة اكسموت سنة 1816م. ينظر : حمدان بن عثمان خوجة : المرجع السابق ،ص ص151 –152 .

[2] وصلت اللجنة الافريقية الأولى إلى الجزائر في 02 ديسمبر 1833م وكان هدفها هو جمع معلومات تنير الحكومة الفرنسية عن حالة الجزائر الحاضرة ،وقد استقبلت اللجنة وفود أعيان العرب الحضريين لتوضيح مهمتها ،وكان رئيسها الجنرال بوني وكاتبها الجنرال بكساتوري نائب في البرلمان ،انظر : أبو القاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال** ،ط2، القاهرة ،ص 97 .

[3] Roches : op.cit. ; P 22.

[4] جان شارل زكار ،ولد بدمشق سنة 1789م ثم أصبح قسيسا في احدى كنائس مرسيليا ،وعند الإعداد لحملة الجزائر سمي مترجما فيها مع بقائه على وظيفه الديني ،حتى أنه هو الذي ألقى أول قداس في مدينة الجزائر على اثر الاحتلال ،وبحضور زعماء الحملة ،ثم أصبح ملحقا بمكاتب الولاة الفرنسيين الذين تداولوا على الجزائر إلى عهد بيجو 1845م ،وفي هذه السنة وضع زكار تحت تصرف أسقفية الجزائر الناشئة .ينظر : أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ،ج 04 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط 02 ،2005م ،هامش ص 23 .

و15 ألف فرنك في السنة[1] ،وذلك زيادة على أن القانون كان لا يعترف بأية اتفاقية أو تعهد يقع بين الأهالي والأجانب بدون حضور ترجمان محلف بينهما ،كما كانت مهمة ليون تقضي شرح مصطلحات الملكية في الاسلام وتفسير الشروط المقترحة بين الطرفين ،غير أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء هذه المهمة على أكمل وجه ،فعمل على زيادة جهوده في تعلمها واتقان مصطلحاتها ،وصار يقضي الليالي الطوال في فك ألغاز الأسماء العربية القديمة ،والمصطلحات الاقتصادية العقارية وغيرها ،ومما ساعده أكثر هو مساعدة أستاذه عبد الرزاق الذي سهل عليه تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الاسلام[2] .

وهنا يتضح أن ليون لم يكن جديا في تعلم اللغة العربية وذلك ليكون هدفه الأول منها مغازلة عشيقته كما ذكر ،إلا بعدما عرف فوائدها المختلفة إذ فتحت له باب رزق لم يكن يحلم به أو يخطر على باله من قبل ،وأغلب الظن أنه كان يدرك جيدا مدى حاجة البلاد إلى مترجمين قادرين وأكفاء ،على أن يكونوا الخيط الرابط بين الفرنسيين والأهالي ،فحرص على إبراز شخصيته أمام عضوي اللجنة الإفريقية ،كما أنه كان يتقاضى ما يزيد على ألف فرنك شهريا في مقابل المهام المريحة التي يقوم بها ،المتمثلة في ترجماته والخدمات التي أسندت إليه ،فاستطاع حينئذ مساعدة أبيه في الناحية المالية أيضا لإنجاز مشاريعه الفلاحية[3] .

وقد كان الجيش الفرنسي كله سنة 1832 م الموافق ل 1248 هـ عند وصول الدوق دي روفيجو إلى الجزائر يضم أربعة مترجمين لا غير ،جديرين بأداء مهمتهم ،ولما تم احضار قنصل فرنسا من طنجة ،السيد دي لابورت ليشغل منصب المترجم الرئيسي الأعلى في الجيش الإفريقي بالجزائر،

---

[1] يوهان كارل بيرنت :المرجع السابق ،ص 173 .

[2] Roches : op.cit. ; P22 .

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ص 17 .

ويعطي دروس للمترجمين ومراقبة تقدم مستواهم ورفعه ، لاحظ السيد دي لابورت أن أغلبية المترجمين لا يعرفون القراءة والكتابة[1] .

ويبدو أن الضرورة والحاجة الماسة والملحة ،قد أدت إلى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الافريقي ،من طرف المارشال كلوزيل [2] نفسه سنة 1835 م الموافق ل 1251 هـ ،وذلك لكونه ضابطا في فرقة الحرس الوطني واتقانه للغة العربية أحسن من غيره ،ولقد اصطحب المارشال كلوزيل،ليون في حملته على المدية 1836 م الموافق ل 1252 هـ[3] ،وهو ترجمان عسكري محلف وما إن بدأ المارشال يتاخم ثنية موازية حتى باغت العرب جيوشه ،فتصدى لهم النقيب جاستي(رئيس فرقة الصبايحية) ،فتغلب عليه العرب وهزموا جنوده ،وسقط جاستي جريحا بين العرب ،فاغتاظ المارشال من هذا الوضع وأمر ضباطه السبعة عشر الذين يكونون موكبه ،بالهجوم عليهم وفك النقيب جاستي من قبضتهم ،وكان ليون ممتطيا جواده الأسود أول من وصل إلى النقيب جاستي فوجده ممدودا على الأرض وسيف أحد العرب على رقبته ،وهو دامي الوجه

---

[1]كان أغلب المترجمين العسكريين في بداية الأمر سنة 1832م لا يرغبون في مواصلة هذه المهمة ،وكان عددهم واحد وعشرون مترجما ،واحد فقط يعرف الكتابة باللغة العربية ،ويتكلم اللغة الفرنسية قليلا ،إلى أن قرر الجنرال دي روفيجو أنه ابتداء من أول جانفي1833م أن المترجمين سيخضعون إلى امتحان أمام لجنة تتكون تحت رئاسة هيئة الأركان العامة ،فتم ابلاغ وزارة الخارجية التي أبلغت قناصل المشرق أن يبلغوا النداء إلى كل من يريد الدخول إلى هيئة المترجمين في جيش افريقيا . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،هامش ص 71 .

[2]ولد بميريبواكس (ارياج) في 12 ديسمبر 1772م ،حصل على وسام جوقة الشرف في 14 فيفري 1815م ،كان برلمانيا على مقاطعة ارداس من 26 جوان 1829م إلى 21 افريل1842م ،كما عين قائدا عاما لجيش الحملة الفرنسية على الجزائر (الجيش الإفريقي) من 12 أوت 1830م إلى 21 فيفري 1831م ،ليصبح مارشال في 27جويلية1831م ثم عين حاكما عاما للممتلكات الفرنسية في شمال افريقيا من 08جويلية1835م إلى 12جانفي1837م ،مات بمنطقة سكوريو بفرنسا في 21افريل1842م .ينظر :فارس العيد : **علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848 – 1930م)** ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،جامعة وهران ،2016 – 2017 م ،ص 20 .

[3]Narcisse faucon : op.cit. ; P 522 .

لأن احدى الرصاصات اخترقت خديه فكسرت فكه ،فلما انشغل العرب عنه بالحرب أردفه ليون على حصانه ،ورجع به إلى المارشال ،فشكره هذا الأخير ورفع من شأنه[1] .

وقد جاء في كتاب السيد نرسيس فوكون (كتاب الجزائر الذهبي) حديث للسيد جاستي، الذي أصبح جنرالا فيما بعد يقر فيه بجميل ليون روش ،وما له من فضل عليه بعدما أنقذ حياته، كما يقول ليون أن المارشال كلوزيل أمره بأن يصحب الجنرال ديمشال إلى المدية ،كترجمان عسكري محلف فامتثل لأوامره ودخلوا المدية ،ولم يباشروا أية معركة ضد الأهالي ،فالتقى ليون بأحد أصدقائه الجزائريين ،كان قد تعرف عليه في الجزائر عند مُحَمَّد بن عمر باشا ،وكان يدعى سيدي مُحَمَّد قائد البويرة ،فدعاه هذا الأخير لتناول العشاء معه ولما استأذن ليون الجنرال في ذلك ،وافقه شريطة اغتنام الفرصة لجمع المعلومات حول مُحَمَّد بن حسين الذي رشحه الجنرال بايا مواليا لفرنسا في المدية، خاصة وإن كان سيدي مُحَمَّد قائد البويرة نائبا لهذا الباي ،ولما حضر مُحَمَّد بن حسين في بيت قائد البويرة ،تحدثا في شأن تعيينه على المدية وكان ذلك بحضور ليون روش[2] .

ومن هنا يثبت لدينا أن ليون كان قد مارس الجوسسة قبل التحاقه بالأمير عبد القادر في شهر نوفمبر 1837 م الموافق ل 1253 هـ ،ولما عاد إلى الجنرال أخبره أن فكرة تنصيب مُحَمَّد بن حسين بايا على المدية لا تخدم مصالح فرنسا ،ولا يتغير بمقتضاها الوضع السائد في هذه المنطقة أو الإقليم ،لأن الأهالي كلهم ساخطون عليه بل ستنجم عن هذه الإجراءات أتعاب للباي نفسه ،كما سيسبب ذلك مخاطر للكراغلة حلفاء فرنسا في المنطقة ،وكان الباي مُحَمَّد بن حسين كثير الاتكال على القوة الفرنسية لحمايته ،حتى أن الجنرال نفسه احس بهذا الشعور ولما خلت المدية من

[1]Ibid. , pp 522 ; 523 .

[2]Roches : op.cit. ; P26 .

سكانها ولم يبقى فيها إلا الكراغلة واليهود ،بذل الجنرال واسع جهده في اقناع الفارين وطمأنتهم فلم يفلح رغم القوات التي كانت معه والأسلحة التي وزعها على الكراغلة[1] .

ولما فشلت كل محاولات الجنرال ،فوض ليون روش للاتصال بأحد قادة قبيلة وزرة الذين أتوا للقائه ،وعرف ليون من القائد أن القبائل لا تريد لا الفرنسيين ولا الباي الذي عينوه ،ولما عاد المارشال كلوزيل إلى الجزائر ألغى مشروع تنصيب الباي مُحَمَّد بن حسين على المدية وكذلك باي مليانة ،ثم إن المارشال كتب تقرير إلى وزارة الحربية ضمنه قائمة خاصة بضباطه الذين شاركوا في الحملة وكان اسم ليون روش موجودا فيها وذلك حسب قول ليون نفسه ،ولكن هذه القائمة ليس لها وجود ضمن مراسلات المارشال كلوزيل التي جمعها السيد غابرييل ايسكير في جزأين وأغلب الظن أنها تكون قد أرسلت كملحق لتقرير المارشال وهو ما دفع إلى عدم نشرها[2] .

وقد واصل ليون مهمته كترجمان محلف في الجيش الافريقي ،وكانت أحداث الحملة على المدية قد رسخت في ذهنه خاصة حادثة النقيب جاستي ،التي شارك بسببها لأول مرة في معركة ضد الأهالي ،فخلفت لديه طموحات جديدة اتجاه الحياة العسكرية ،وكانت أمنيته الوحيدة أن يكون ضابطا في الجيش ،وزادته تشجيعات الكولونيل ماري [3] ،اندفاعا لتحقيق أمنيته وبلوغ مرامه[4].

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 18 .

[2] المرجع السابق ،ص 19 .

[3] جنرال فرنسي ولد في نويتش بفرنسا في 17 فيفري 1796م ،ومات في بومارد في 13 جوان 1863م ،وقد كان ضابطا في المدفعية الفرنسية حتى سنة 1830م ،وشارك بعدها في الحملة الفرنسية على الجزائر وانضم إلى فرقة الخيالة ونظم أول فرقة الصبايحية في الجزائر ،وترقى إلى رتبة جنرال سنة 1848م ،كما شغل منصب الحاكم العام للجزائر ما بين جوان ونوفمبر من نفس السنة ،ولم يوضح روش نوع التشجيعات ،ينظر : يوسف مناصرية :المرجع السابق ،هامش ص72 .

[4] Roches : op.cit. ; p27 .

وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين ،وليس كما يزعم لما التحق بدولة الأمير عبد القادر أنه رجل مسلم ، يريد حضارة بلاده في الجزائر وصار ليون يتساءل إذا كان سيدخل كضابط في فرقة الصبايحية التي تأثر بها وفتنته مغامراته مع النقيب جاستي،وذلك في الوقت الذي كانت فيه عجلة الحروب تدور بين جيش الأمير والأهالي الجزائريين هذا من جهة ،والجيش الفرنسي من جهة ثانية ،وتذكر المصادر أن والده روشألفونسو قد استطاع أن يلغي تعاقد ابنه مع الجيش الفرنسي[1].

لكن هنا يتبادر إلى الذهن :إذا كان أبوه قد استطاع أن يمنعه من أن يصبح ضابطا في الجيش الفرنسي ،لماذا لم يقدر أن يرده من الالتحاق بجيش الأمير عبد القادر ؟ ،هل كان ضد الخير لفرنسا ؟ ،وفضله للأمير فوافق وسكت بأن يلتحق ابنه ليون بجيش الأمير لخدمته بدل فرنسا ،أم أن التحاق ليون بالأمير ودولته كان في ظل معاهدة التافنة [2] ،أنفع للبلاد فيجلب المعلومات عن أحوال الأمير السياسية والعسكرية والاقتصادية ،بدل أن يلتحق بالجيش الفرنسي .

[1]Faucon : op.cit. ;p 523 .

[2]التافنة : نهرغرب الجزائر يصب في البحر الأبيض المتوسط ،وسميت عليه المعاهدة التي وقعت في 30 ماي 1837م بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو ممثل فرنسا عندئذ في الجهة الغربية . ينظر :أبو القاسم سعد الله :بحوث في التاريخ ... ،هامش ص 323 .

المبحث الثاني : ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر (1837 – 1839م)

لقد كان على السلطات الفرنسية أن تعمل على اقامة السلم في غرب الجزائر ووسطها ،بعد مدة طويلة من الحرب الضارية ضد الأمير عبد القادر (حوالي السبع سنوات) ،وأن تركز جهودها وتكثف قواتها العسكرية في الشرق الجزائري وذلك لنسيان الهزيمة الأولى في قسنطينة ،ومما أكد حتمية هذا السلم ،هو زيادة الخسائر المادية والبشرية ،واضطراب الحكومة الفرنسية وتخوفها من تصاعد الأزمة داخل مجلس النواب ،زيادة على فشل القوات الفرنسية في التوغل داخل البلاد ،لذلك شرع كبار العسكريين في اعداد حملة ثانية على قسنطينة[1] .

بعدها قررت الحكومة الفرنسية ارسال الجنرال بيجو [2] ،إلى الجزائر للتفاوض مع الأمير عبد القادر وعرض شروط سلم عليه ، وتم اعطاء بيجو كل الصلاحيات لتحقيق ذلك كما أن الأمير عبد القادر هو الآخر كان محتاجا إلى فترة هدنة لإخماد الفتن الداخلية وجمع كلمة المسلمين وتنظيم شؤون دولته العسكرية والإدارية والمالية وإقامة علاقات خارجية لجلب السلاح والذخيرة ،فبدأت

---

[1] Henri Ideville : **Le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documentsinédits** (**1784 – 1849**),t2 , paris, 1882, pp 55-71 .

[2] الجنرال ثم المارشال توماس بيجو ،ولد في 15 ديسمبر 1775م في مقاطعة لادورانتي ،توفي في 10 جوان 1849م ،انضم إلى الجيش الفرنسي في سنة 1804م ،أرسل في مهمة مزدوجة محاربة الأمير بدون هوادة ،وجعل السلم معه فخلال الثلاثينيات في اقليم وهران وقع معه معاهدة التافنة المذكورة ،ثم أصبح من دعاة القضاء عليه واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر ،وقد منحته حكومته كل الصلاحيات لتنفيذ خطته ،ومع ذلك استقال ورجع إلى فرنسا في جوان 1847م أي قبل نهاية مقاومة الأمير بنصف سنة تقريبا ،ودارت بينه وبين الامير مراسلات عندما كان هذا أسيرا بفرنسا .ينظر : كريمة حرشوش : **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832–1847م** ،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ،جامعة وهران ،د س ،ص 147 .

المفاوضات في أوائل سنة 1837 م الموافق ل 1253 هـ ،وعقدت في الأخير اتفاقية سلم بين الأمير والجنرال بيجو نيابة عن حكومته في 30 ماي 1837 م وعرفت باسم معاهدة التافنة[1] .

وتظم هذه المعاهدة خمسة عشر بندا جلها لصالح الأمير [2] ،ومن بين بنودها :البند الرابع الذي ينص على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا ،ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى الأماكن التي يحتلها الفرنسيون ،أو من هذه الأخيرة للعيش تحت سلطة الأمير عبد القادر[3] .

حينها قرر ليون روش الالتحاق بدولة الأمير بمقتضى هذا البند ،وبرر موقفه بعزمه على اعتناق الدين الإسلامي ،حيث غادر مقر أبيه بإبراهيم رايس واستقر عند شيوخ قبيلة بني موسى الذين كانت تربطه بهم علاقة سابقة ،إذ كان يخرج معهم إلى الصيد خلال السنوات الماضية[4] .

ويقول ليون أنه قرر الالتحاق بالأمير عبد القادر [5] بهدف الوصول إلى عشيقته خديجة ،التي علم أن زوجها استقر بها في مدينة مليانة الواقعة تحت حكم الأمير ،ولكن إذا كان فعلا يريد

---

[1] من المعاهدات التي ثار حولها الجدل من حيث توقيتها ومن حيث نصوصها ،أما عن توقيتها فالجدل كان عن موقف الأمير من أحمد باي وموقف هذا من الأمير ،ومن حيث نصوصها فقد تبين لن نصها الغربي غير نصها الفرنسي ،وان لها ملحقا بالعربية كتبه الأمير وخباه بوجو الذي وقع معه المعاهدة . ينظر : أبو القاسم سعد الله : **خلاصة تاريخ الجزائر** ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،بيروت ،2007م ،هامش ص 32 .

[2] ينظر نص المعاهدة ،هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ،تر : أبو القاسم سعد الله ،تونس 1974م ،ص ص302 ،303 .

[3] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 23 .

[4] نفسه :ص 23، 24 .

[5] علم من أعلام التاريخ العالمي ،هو عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري المشهور بلقبه الأمير عبد القادر ،كانت ولادته عام 1807م أو 1808م ،بالقيطنة غير بعيد عن معسكر ،تلقى معارفه الأولى بالزاوية القادرية ،لدى بلوغه التاسع عشر من عمره قام بأول رحلة له إلى الأراضي المقدسة صحبة أبيه ،تمت مبايعته بالإمارة في22 نوفمبر 1832م ،أول من حمل لواء

الاتصال بخليلته كما زعم ،فلماذا لم يختصر الطريق ويلتحق بصديقه عمر باشا واخيه مُحَمَّد ؟ ،اللذان يقيمان بمليانة وينظم من هناك اتصالاته كما يشاء ،ويكون بذلك قد تجنب كل المخاطر والصعاب والمخاطرة بنفسه في الالتحاق بالأمير[1] .

أما إذا صدقنا قوله من أنه ذاهب إلى جانب الأمير لمساعدته في تنوير المسلمين واطلاعهم على الحضارة الفرنسية فإننا نستنتج ،من ذلك أنه أراد المساس بوحدة المسلمين وكسب ولاء ضعاف العقول والقلوب منهم إلى فرنسا ،والتباهي بالإنسانية وسعة المعرفة وسرعة الذكاء ،وهو دور كان قد قام به أيضا الدكتور وارنيي [2] في مدينة معسكر لما كان يعالج مرضى المسلمين ،لا بهدف مداواتهم وإنما لكسب عاطفتهم لصالح الفرنسيين ،وأيضا بخلق الشقاق بينهم وتشتيت صفوفهم[3] .

بعدها بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر ،فاتصل بالملازم الأول فيرجي [4] قائد فرقة الصبايحية في مدينة

المقاومة ضد الاستعمار ،توفي في دمشق بتاريخ 26 ماي 1883م .للمزيد عن حياة الأمير ينظر : سعيد بوطرفة :**حكم زمني وسلطة روحية ،الأمير عبد القادر** ،منشورات كلور سات ،2013م ،ص 10 .

وايضا : Dar El ;Hani Abdelkader : **correspondances de l'emir Abdelkader 1833/ 1883** Gharb ;2004 ;p p 17-18 .

[1] Marcel Emrit : op.cit. ,p 82 .

[2] عندما كان النقيب دوماس قنصلا لفرنسا في معسكر في شهر نوفمبر 1837م ،كان الدكتور وارنيي بجانبه يساعده على أداء مهمته ويعمل على كسب عاطفة المسلمين ،ويجوب الحقول والقرى لمعالجة مرضاهم ،وقد كان من بين المرضى ابن الأمير عبد القادر ،ينظر : les correspondances de Dumas

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 24 . ينظر : كتاب السيدة تورين : **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة** ،والذي يتناول تصادم الثقافة والطب الفرنسي بالثقافة والطب الجزائري من بداية الاحتلال إلى سنة1880م .

[4] فيرجي شارل نيكولاس ولد سنة 1809م ،عين سنة 1833م برتبة رقيب في هيئة الصبايحية التي كان يقودها علال بن بوزيد قائد قبيلة بن خليل ،وبعد ذلك بقليل عينه برتبة ملازم أول . ينظر : اسماعيل العربي : **سفارة الميلود بن عراش لدى الملكلويس فليب (خلفياتها ونتائجها) ،مجلة التاريخ** ،عدد 6جويلية1978م ،الجزائر ،ص 101 – 103 .

بوفاريك ،كما رافقه إلى مدينة البليدة لحضور الحكم على بعض الجزائريين ،كانوا قد قتلوا أحد الجنود الفرنسيين ،وأظهر ليون اسلامه أمام الحاكم لجلب نظره ،فاستضافه هذا الأخير عنده ،فاغتنم ليون هذه الفرصة للاتصال بمرابط المدينة سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير ،واظهر له بصفته مسلما تخوفه من رجال حجوط لأن يغتالوه كما فعلوا مع الجندي الفرنسي ،فوثق به المرابط على حسن نيته واستضافه في بيته ،فالتقى هناك ببعض المسلمين كانوا في ضيافة سيدي بلقاسم ،واستقبلوه بحفاوة لاعتقادهم انه مسلم ،وفي هذه الاثناء حضر رسول الأمير عبد القادر وأخبر سيدي بلقاسم بأن الأمير يريد بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري ، التي لم تخضع بعد لسلطانه[1] .

فتقدم ليون حينئذ وأخبر سيدي بلقاسم أنه يريد الالتحاق بالأمير عبد القادر ،وبذل كل جهده لخدمته فاستبشر المرابط بكلامه ودعا له بالتوفيق وفرح به اشد الفرح ،وفي اعتقاده أن الله قد هداه من الكفر إلى الإيمان ففرح ليون ،حينئذ واستبشر ببلوغ مراميه لأن الالتحاق بالأمير يعتبر عملا هاما في خدمة فرنسا ، فيكون بذلك قد بادر بمساهمة حسنة في تحقيق طموح بلاده خاصة وأنه حسب قوله ما اعتنق الدين الإسلامي إلا ليدخل في وسط جيش الأمير ودولته ويقترب منه ليتعرف على أحواله ويجعل منه حليفا لفرنسا ،ويؤدي في الأخير إلى استسلام الجزائريين لها[2] .

وفي شهر نوفمبر 1837 م عاد ليون الى أولاد سيدي موسى وحمل متاعه ،في طريقه إلى مليانة كما أن المرابط سيدي بلقاسم قد سلمه رسالة يطلب له فيها الأمان من مرابط الحجوط ،فسمح له بالمرور ووصل إلى مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا ،فاستضافه هذا وقدم له نصائح كثيرة عن كيفية سيرته وأوصاه بالحذر في تحركاته والفطنة في سلوكه لكي لا يجلب شكوك المسلمين حوله ،وقد فعل عمر باشا ذلك من أجل مساعدة ليون للوصول إلى عشيقته ،وهو يعرف جيدا أن ليون تظاهر باعتناق الإسلام إلا من أجلها .

---

[1] Roches : op.cit. ; PP 37 – 42 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 25 .

في هذه الأثناء كان الخليفة مُحَّد بن علال[1] غائبا عن المدية ،فاتصل ليون بنائبه وكاتبه (قدور بن رويلة) ، وشرح له بأنه مسلم ويريد الالتحاق بالأمير ليقدم له خدماته ،وأهدى له مصحفا فاستبشر قدور بإسلامه ،ووعده أن يصحبه هو إلى معسكر الأمير ،وسوف يطلب من الخليفة مُحَّد بن علال ان يقدمه للأمير ،هذا الأخير الذي كان قد سار على رأس جيش إلى الشرق وعسكر على ضفاف وادي نوغة حيث التحق به ليون روش[2] .

وقد سأله خليفة الأمير مُحَّد بن علال بطلب من قدور بن رويلة يطلب منه استقبال ليون كفرنسي اعتنق الإسلام ويريد الدخول في خدمته فقبل الأمير الدعوة واستقبل لأول مرة ليون ،وأجرى معه حوارا فأخبره ليون أنه اعتنق الدين الإسلامي بكل اخلاص ،ويريد منه أن يسمح له بالدخول في خدمته ،وقال له أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر ففرح الأمير بإسلامه ،وطلب منه قاضي معسكره أن يعلمه القرآن وتعاليم الدين الإسلامي ،وقال له أن المسلم الحقيقي لا يكتفي بقوله أنه اعتنق الإسلام ،وإنما يجب أن يفهم ويعرف ما يجب أن يكون عليه المسلم المخلص الصادق في القول والعمل وهنا بدأ روش يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس ،وبدأ يأخذ حذره من ان يتقن عملا لصالح الأمير ،ويرتكب بذلك جريمة في حق بلاده ،فما كان عليه إلا ان شرع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الامير العسكرية والسياسية وغيرها ،حيث بعث أول رسالة له من المعسكر في وادي نوغة بتاريخ 19 ديسمبر 1837 م ،إلى أحد الفرنسيين ولم يذكر اسمه وأشار إليه بعبارة صديقي [3] ،استهلها

---

[1] اسمه الكامل مُحَّد بن علال بن حملام ،أصله من بني زيان ملوك تلمسان ولد بمدينة القليعة سنة 1810م ،شارك في العديد من المعارك إلى جانب الأمير عبد القادر (معركة وادي الزيتون 20 ماي 1840م) . ينظر : عبد القادر زاير : **دورخلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832 – 1847م)** ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة وهران ،2009 – 2010م ، ص 85 – 98 .

[2] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 25 .

[3] يذكر : MarcelEmrit: في مقاله أن القنصل دوماس هو من كلف ليون روش بالتجسس على الأمير عبد القادر ،ص 84.

بإعطاء وصف دقيق عن شخصية الأمير ومناقبه ،ولباسه وأوصافه الجسمية والخلقية والدينية والثقافية ،وقال أنه رجل عادل يحترم تعاليم دينه وأن المسلمين يخضعون له بسبب احترامه الشديد لتعاليم الإسلام ،وسيره على نهج الخلفاء الراشدين[1] .

ثم تطرق للحديث عن الحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية ،فقال :أن الموارد الاقتصادية للأمير منعدمة ،وحالته المالية سيئة وجيشه النظامي مفكك ومشتت وضعيف المعنويات ،وان سلطته جزئية ولم يعم نفوذه كل القبائل ،فقد خرجت عليه قبائل الجنوب قبل عقده معاهدة التافنة ،ولم تعترف بسلطانه ولم يبقى في يده إلا بعض القبائل من إقليم وهران[2] .

ومن الناحية السياسية قال ليون أن الأمير لا يرى في معاهدة التافنة ،إلا فترة سلم تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في الحرب من جديد ،وأن نفوذه ازداد خلال السنة وذلك في الأشهر الأولى منها (من جوان الى ديسمبر 1837 م) وتوسع نفوذه وأصبحت سلطته معترفا بها من الحدود المغربية إلى حدود إقليم قسنطينة ،وأن الأمير قد شرع الآن في جمع الضرائب والأموال لبناء أركان دولته[3] .

وفيما يخص التنظيم الإداري ،أخبر ليون صديقه أن الأمير عبد القادر قسم دولته إلى ثمانية إمارات وعين على كل واحدة خليفة له ، وأعطى تفاصيلا حول تقسيم كل إمارة وكيفية توزيع القبائل التابعة لها ،كما فصل في رسالته إلى صديقه كيفية جباية الضرائب والزكاة والعشور ،أما عن موقف المسلمين من استعمار الفرنسيين للمدن الساحلية فقال أن رأيهم مجمع على أنها تحتل

[1] Roches: op.cit. ; PP 56 – 60 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 26 .

[3] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 26 .

الساحل بصفة مؤقتة وأنه سيتم جمع المال لشراء كل المدن ويرجع الفرنسيون إلى بلادهم وتسود سلطة الأمير عندئذ كل بلاد إفريقيا[1] .

واصل ليون مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والإستراتيجية ،وقال أن هدف الأمير الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد ،ومن ثمة جمع الضرائب وتقوية ميزانية الدولة ،ثم شرح لصديقه كيفية محاربة الأمير للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي نوغة [2] ،وكيفية انتصاره عليهم في الأخير وذلك راجع لدقة أوامره وتنظيم جيشه ،وأعرب له في الأخير عن رأيه في معاهدة التافنة وقال :" **أنه لا يجب عقد أي سلم مع هؤلاء العرب المتبربرين** " .

وأكثر من ذلك فقد ظهر ليون روش على حقيقة أمره ،كجاسوس عندما راسل النقيب دوماس قنصل فرنسا في معسكر ،يقول له أنه ما التحق بالأمير إلا خدمة لفرنسا وبلاده ،وأنه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا وكان ذلك لما أوفده الأمير إلى مدينة تلمسان مرورا بمدينة معسكر ليتعلم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي وليحسن معارفه في اللغة العربية [3] ، وأثناء إقامته في تلمسان شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوسا فرنسيا فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه ،ولما أحس ليون بذلك حاول الفرار إلى مدينة وهران ،ولكنه فشل في الأخير[4] .

ولما قرر الخليفة إعدامه بادره ليون تحت قناع الإسلام ،بأن المسلم لا يجوز قتله إلا بأمر من السلطان وأنه ما فر إلا لقساوة معاملة الخليفة البوحميدي له ،فعفا عنه الخليفة وقرر إرساله إلى الأمير ،خاصة وأن رأي مجلس الخليفة كان في صالح ليون ،كما أن ليون بعث برسالته الثانية إلى

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 27 .

[2] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري :**تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر** ،ج1 ،المطبعة التجارية ،الإسكندرية ،1903 ،ص 192 -193 .

[3] يوهان كارل بيرنت : المرجع السابق،ص 172 .

[4] MarcelEmrit : op.cit. ,p 85 .

صديقه في شهر فيفري 1838 م ،فصل له فيها النظام الإداري والعرفي الذي كانت تسير عليه قبائل غرب البلاد وشرح له ما عرفه عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدينية ،والثقافية التي كان يمارسها الأهالي[1] .

وكان ليون يعلم جيدا أن الدين الإسلامي يعدل بين الناس جميعا ،ولا يفرق بين سائد ومسود فما إن وصل إلى مدينة المدية في أوائل شهر افريل 1838 م وحضر أمام الأمير حتى بكى له واشتكى من ظلم وجور الخليفة البوحميدي ،ورجاله ،وسوء معاملته له وأنهم اعتبروه كافرا وليس مسلما ،أتى في خدمة الأمير لنصر الحق على الباطل ،واظهار النور على الظلام ،ولعب ليون على سذاجة الأمير[2] ،وقال له هكذا يستقبل مسيحيا اعتنق الإسلام بإرادته ،ثم بالغ في التضرع فصدقه الأمير ووعده أنه سوف لن يتركه يفارقه أبدا .

واستطاع ليون بعد هذا أن يحقق هدفه ويبلغ مناه ،ويقترب من الأمير ويطلع على جميع أسراره خاصة بعد أن عينه الأمير كاتبا مستشارا له ،واتخذه رفيقا وكلفه بمراقبة مسائل جيشه النظامي وملابسه وأجوره وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة ،ولما عاين المسلمون ما وصل إليه ليون روش من رتبة ،أمنوا جانبه وأصبح الأمر طبيعيا بالنسبة لهم خاصة بعدما قربه الأمير منه ،فكثيرا ما أسلم الكفار في عهد الرسول ﷺ ،وأخلصوا الإيمان ،كما ازدادت ثقتهم فيه وتيقنوا من إيمانه خاصة بعدما رفض الرجوع مع أبيه إلى الجزائر لما طلب منه ذلك ،عند زيارته للأمير في منتصف شهر ماي 1838 م[3] .

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 27 .

[2] تظهر سذاجة الأمير والمسلمين في معاملتهم لليون روش ،خاصة عندما استقبله الأمير لأول مرة وصدق كلامه ،ولم يضع عليه أي مراقبة ،فصار روش يختلي بنفسه ويحرر رسائل للفرنسيين ،ولعل الأمير كان قد قربه منه ليستفيد من خبرته في الجيش الفرنسي ،ويعلم منه الأسرار العسكرية وغيرها . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،هامش ص74 .

[3] MarcelEmrit : op.cit. ,p 85.

وكان الأمير قد ترك له حرية البقاء أو الذهاب فاختار البقاء إلى جانب الأمير ،فظن المسلمون أنه رفض العودة لكونه مسلما لا يريد الرجوع تحت حكم الكفار ،بعدما صفا الجو لليون وسهلت مهمته وتيسر له الأمر في جمع كل ما يحتاجه من معلومات ،خاصة وأن المسلمون كانوا قد وثقوا فيه وأصبحوا يبوحون له بكل أسرارهم ،ويعتبرونه ساعد الأمير الأيمن ،وكان ليون يحضر حتى مجالس الأمير السرية التي كان يعقدها مع كبار رجال دولته ،أمثال مصطفى بن التهامي [1] وغيره ،كما حرص الأمير على تعليم ليون أمور دينه ،فعكف على دراسة اللغة العربية والتعمق فيها ،وسجل معلومات كثيرة حول كيفية جلب الضرائب بمختلف أنواعها وكيفية توزيعها على القبائل [2] .

وقد كان الأمير يأخذه معه أينما ذهب وينفق عليه من بيت مال المسلمين ،بهدف تنويره بتعاليم الشريعة الإسلامية ،ولكن كان ذلك عملا بدون مردود ومجهودا في غير موضعه ،لأنه كان يواجه عدوا في ثياب مسلم ،وهو أخطر أشكال المواجهة والفائدة الوحيدة التي كان يجنيها الأمير من ليون روش هي قراءة هذا الأخير للصحف الفرنسية وتلخيص ما جاء فيها للأمير باللغة العربية ومن يدري هل كان فعلا يخبره بمضمونها الحقيقي ،أم كان يفتري عليه ويخدعه[3] .

كما خرج ليون مع الأمير في حملته على عين ماضي [4] ،بتاريخ 12 جوان 1838 م ،وقد كان الأمير عازم بعدما جمع كلمة المسلمين في الشرق أن يتوجه إلى الجنوب ،لإخضاع قبائل

---

[1] ولد بمعسكر سنة 1796م وهو ابن عمة الأمير عبد القادر وصهره ،وصفه ليون روش أن طبعه هادئ وصارم في نفس الوقت ،يحب النظام ،عينيه تشبه عيني الأمير ،كان له دور إلى جانب الأمير في حصار عين ماضي .ينظر : عبد القادر زاير : مرجع سابق ،ص ص40 - 49 .

[2] ادريانبير بروجر : **رحلة إلى معسكر الأمير في الونوغة والبويرة** ،تر : ابو القاسم سعد الله ،**مجلة الذاكرة** ،العدد 05 ،الجزائر ،1998م ،ص210.

[3] Le correspondance doumas ; pp 222 – 225 .

[4] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري : مرجع سابق ،ص ص306 – 311 .

الصحراء وتنظيمها تحت سلطانه ،وكانت الطريقة التجانية [1] ،هي المسيطرة في هذه الأنحاء ومركزها عين ماضي ،وكان الأمير يعامل صاحبها سيدي أحمد بن سالم التجاني [2] معاملة المرابطين ،ولكن شاء القدر أن يعثر الأمير على رسالة للتجاني بعثها إلى أهل الأغواط يستفزهم ضد الأمير ،مع رسائل أخرى إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها :" **أنت أشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمره من جهة البر** ... "[3].

ولما وصل الأمير على رأس جيشه إلى دوار أولاد البيضة ،وأتته قبائل الصحراء من كل فج ،وتجمعت حوله ،ثم أوفد عشرين فارسا وعلى رأسهم ليون ،لإبلاغ التجاني أن الأمير لا يريد من هذه الحملة إلا جمع كلمة المسلمين وإعدادهم للجهاد في سبيل الدين الإسلامي ،ولكن التجاني كان يرى في نفسه ،أنه أحق بحكم المسلمين من الأمير فجمع قواته وتمركز في قصره بعين ماضي ،ويقول ليون أنه هو الذي طلب ذلك من الأمير وأنه أراد أن يبرهن له على صدق إيمانه[4] .

والظاهر أن ليون قد قبل القيام بهذه المهمة لعلمه بولاء التجاني للفرنسيين خاصة بعدما اطلع على الرسائل التي وجهها التجاني إلى المارشال فالي ،والتي وقعت في يد الأمير ولذلك ألح

---

[1] التجانيةطريقة دينية أسسها سيدي أحمدالتجاني ما بين سنة 1737م 1815م مركزها عين ماضي ،انتشرت تعاليمها في كل من المغرب وإفريقيا السوداء والحجاز وتركيا ،وكانت حليفة لفرنسا حتى أن حفيد الشيخ سيدي أحمد تزوج من فرنسية " اوريلي بيكار " سنة 1872م ولها مركز ثاني في تماسين قرب مدينة تقرت ،ويقع مركز عين ماضي على بعد 72 كم غرب الأغواط . ينظر : أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،دار الغرب الإسلامي ،ج 04 ،بيروت ،1998م .

[2] ولد سنة 1737م بقرية عين ماضي ،لجأ إلى المغرب فارا من المضايقات التي تعرض لها من قبل العثمانيين في الجزائر .ينظر : أبو القاسم سعد الله : **بحوث في التاريخ** .... ،المرجع السابق ،هامش ص 324 .

[3] yverGeorges : **Abdelkader et le maroc en 1838** ,**revue africaine** ,n 60 , 1919 ,p 93 – 95.

[4] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 29 .

ليون على الأمير في افاده للتجاني ،وفي نيته أن هذا الأخير سوف لن يؤذيه خاصة إذا عرف أنه فرنسي ،ومن ذلك يكون ليون قد كسب ثقة الطرفين[1] .

وعوضا أن يؤدي ليون مهمته الحقيقية في تحسين الوضع بين الأمير والتجاني ،عمل على تحريض هذا الاخير على الأمير وقال له أن حصانة قصره هي القوة الرهيبة في وجه الأمير وستكون له حاجزا صعب المنال ،وفي نفس الوقت ،خوفه وحذره من مواقف الأمير الصلبة ،وأنه سوف يحاصر المركز ولو لمدة عشر سنوات .

ونستنتج من ذلك أنه بعث أملا كبيرا في نفس التجاني الذي ظن فعلا أن حصنه يحميه من الهجومات الخارجية ولم يذكر ليون للتجاني أن الأمير لا يريد الاستلاء على مركزه ،وإنما هدفه الوحيد هو جمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار ،ومن هنا يكون ليون قد زاد النار حطبا وبلغ بذلك هدفه الأسمى وهو اضعاف قوة المسلمين ،وتشتيت رأيهم[2] .

وبعد أن قوى ليون عزيمة التجاني على محاربة الأمير ،عاد إلى هذا الأخير وأخبره أن التجاني متصلب في رأيه ،وأن له ثقة كبيرة في حصنه ،وذكر له أنه جمع يكفيه لتموين رجاله لعدة سنوات ولما باشر جيش الأمير المعركة كان ليون يعلم جيدا أن الأمير سوف ينتصر لا محالة ويتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا ،فعمل على اضعاف قوته وطلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة ،لعلمه أن معظمهم يبغض الأمير ،فلم يظهر لهم ليون ذلك ولكنه عمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه ،بدل ان يراقب ذلك بكل دقة[3] .

---

[1] Arnaud : **Siege d'Ain Medhi ;par el hadj Abdelkader ben mohi Eddine** ;in **revueafricaine** ;n 08 ;1864 ;p 354 – 371 ;et 435 – 453 .

[2] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 30 .

[3] المرجع السابق : ص 30 .

ولم يكتفي ليون بهذه العملية التخريبية بل تعداها إلى مراقبة الفارين الأجانب الذين أخلصوا العمل للأمير ،فأمر أحد الفارين الفرنسيين يدعى ايزدور ،بمراقبة الهارب المجري الذي يقول أنه كان يحمل اسم حسن ،وأن لا يتركه يفعل ما يريد ،طلب من الأمير أن يلحقه برفقة الكراغلة ،ليكون تحت مراقبته المباشرة[1] .

ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه في المغرب وتلك التي أرسلها له المارشال فالي ،طبقا لنصوص معاهدة التافنة ،لانهزم الأمير فعلا بسبب ضعف قواته ونفاذ ذخيرته ولم يتفطن الأمير لمخادعة ليون روش ،فعامله معاملة حسنة وارتفعت قيمته عنده أكثر من ذي قبل .

ويقول ليون أنه مرض في هذه الآونة وأن الأمير كان يرعاه رعاية الأم لطفلها ،وبعدما تم الاستلاء على مركز عين ماضي منحه الأمير وسام الريشة اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله خلال المعركة ،وفي رسالته إلى المارشال فالي نوه الأمير بالدور الذي لعبه ليون في هذه الحملة[2] .

ومما يؤكد لنا مهمة ليون روش كجاسوس فرنسي ،اتصالاته مع النقيب دوماس في منتصف شهر ماي 1839م ،إذ أخبره أن الأمير يهدف من وراء زيارته لقبائل شرق البلاد ،إلى تفقد قواته قبل استئناف الحرب من جديد مع فرنسا ،وأنه سوف يواصل رحلته نحو الشرق ويزور القبائل القاطنة على الحدود التونسية ،وأن هذه الأخيرة كانت قد كاتبته تطلب حضوره عندها لمبايعته ،وعن موقف الأمير من المحافظة على السلم ،أخبر روش النقيب دوماس أن الأمير يريد السلم على الأقل لمدة قصيرة تمكنه من جمع الضرائب وتعويض خسائر عين ماضي ،وان يتمكن الناس من جمع حصادهم وتعطي مصانع الأسلحة ثمارها ،ومن أجل ذلك فإن السلم بالنسبة للأمير أمر ضروري يجب المحافظة عليه ما استطاع ،وأما إذا إراد المارشال فالي شق الطريق ليربط بين قسنطينة والجزائر فإن الأمير سوف يعلن الحرب لا محالة ،واستمر يقول أن الأمير كاتب كلا من الملك لويس

[1] Roches : op.cit. ; PP 56 – 60 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 30 .

فليب ،ووزير الحربية وأعضاء مجلس النواب الفرنسي يطلب المحافظة على السلم وذلك لأن وكلائه، ميلود بن عراش وبن دران وبوضربة ،أكدوا له أن المارشال فالي مصمم على نقض المعاهدة وادخاله على نصها بنود إضافية[1] .

وأكد ليون للنقيب دوماس[2] في آخر محادثاته معه أنه سوف يبذل أقصى جهده في خدمة بلاده ،ويعمل على رعاية مصالحها بكل الوسائل الممكنة فنبهه دوماس إلى استغلال نفوذه على الأمير في أداء واجبه .

وفعلا هكذا بدأ ليون بالاطلاع على أماكن الأمير الاستراتيجية ،لتخريب مواقعها وذلك أنه طلب من الامير أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن ،وبلغ مراده، وقضى أشهر (مارس ،افريل ،ماي ،جوان) 1839 م ،في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل المؤسسات الأساسية وعمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيئا يستحق الذكر ،منذ نشأتها وأغلب الظن أنه عمل على تخريبها بمساعدة الفارين الفرنسيين ،الذين كانوا في خدمة الأمير وهم المكلفون بإدارة هذه المصانع وتسيير شؤونها ،لقد كانت تربطه بهم علاقة وثيقة حتى أنه تدخل لصالحهم لدى النقيب دوماس ،حيث راسله يطلب منه أن يبلغ رسائل العمال الفرنسيين الموجودين بتاقدامت إلى أهلهم[3] .

وأكثر من ذلك وهو دليل قاطع فلقد توقف عمال مصانع تاقدامت الفرنسيين عن العمل بعد قرار مجلس الأمير لاستئناف الجهاد ضد العدو ،وكانوا ينتظرون ليون بفارغ الصبر ،ويقول ليون انه لما التقى بالأمير في شهر اكتوبر 1839 م في مدينة تاقدامت أخبره روش ليون أنه أنشأ مصنع

---

[1] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري : المرجع السابق ،ص ص355 – 361 .

[2] جوزيف اوغين دوماس ،جندي وكاتب سياسي فرنسي ولد في 04 اكتوبر 1803م وتوفي في 29افريل1871م ،جند في الجيش الفرنسي سنة 1822م ،ثم ملازم سنة 1827م ،دخل إلى الجزائر سنة 1835م تحت قيادة المارشال كلوزيل ،تعلم اللغة العربية ،وعين قنصلا في معسكر من 1837م الى 1839م ،ثم جنرالا في سنة 1853م ،فسناتور عام 1857م .

[3] Roches :op.cit. ; PP 64 – 66 .

للأسلحة في تاقدامت ويقول أيضا أنه وضع فيها الأسلحة على أنها من انتاجه ،ولكنه في الحقيقة حسب قوله أن المصنع كان لا ينتج شيئا ذا معنى وإنما وضع فيه الأسلحة لمخادعة الأمير فقط[1] .

ولما أعلن الجهاد وبدأت التجهيزات ،كان الأمير في تاقدامت كما آنفنا ،والتقى مع ليون فسأله عن موقفه من استئناف الجهاد ضد العدو ،فلم يملك ليون نفسه حينئذ وأعلن له أنه لا يريد مقاتلة فرنسا الأم التي تحمي اخوانه ،ولما أكد له الأمير أنه كمسلم يجب أن يعادي أعداء الله ،انفجر ليون في وجه الأمير وأعلنها صراحة له بأنه لم يكن مسلما أبدا ،فحاول الأمير تهدئته لظنه أنه منفعل فقط ،بعدها ترك الأمير ليون وشأنه ،وربما ليفاتحه في الموضوع مرة أخرى ،ولم يعط للموضوع أهمية كبيرة ،حتى أنه لم يخبر أحدا بما بدر منه ،وقد سافر الأمير في نفس الأسبوع إلى تلمسان لتنظيم شؤون دولته دون أن يترك أية أوامر تخص ليون روش ،قرر ليون روش العودة إلى الجيش الفرنسي وانتهز فرصة غياب الأمير ،وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران ،وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه في مهمة إلى مدينة مليانة ليتفقد مصانع الأسلحة ،وذلك ليتجنب متابعتهم له إذا علموا بحقيقة أمره[2] .

ومن بين الوثائق التي أقر ليون أنه أخذها معه ،خريطة جغرافية الجزائر ،كان قد أحضرها ميلود بن عراش ،وجهاز بوصلة وخاتمه بصفته كاتب الأمير ،وعدد من الرسائل استعملها في شكل برقيات ليخادع بها كل من يعترض طريقه ،ولما وصل إلى منطقة معسكر وتلمسان أخبر من اعترضه من الأهالي أنه ذاهب في مهمة إلى هاتين المدينتين ،بأمر من الأمير فساعده المسلمون لذلك على معرفة المواقع ،ولما دخل اقليم وهران التقى ببعض المسلمين فاستوقفوه ،فأظهر لهم بعض الرسائل عليها خاتمه ،وقال أنه يحملها إلى وكيل الأمير في وهران ،كما سلم لهم تذكرة باسمه أثبت فيها أقواله ،وقد استطاع ليون بعد ذلك أن يصل إلى مركز الجيش الفرنسي في الكرمة صحبة رفيقه ازدور وانتقل من هناك إلى مقر حاكم إقليم وهران ،وهكذا يكون ليون قد التحق بجيش

---

[1]Ibid. : pp

[2]Roches : op.cit. ; PP 191- 192.

الأمير في فترة كانت فرنسا تجهز نفسها إلى حملة انتقام واحتلال قسنطينة في 27 اكتوبر 1837 م ،وفي هذه الآونة بالذات التحق ليون بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين ،باسم الإسلام فانخدعوا له وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم ،فألم بما فيه الكفاية وبلغ مراميه ،ويا ليته اكتفى بذلك فقط ،ولم يعمل على تخريب منشآت الأمير الصناعية والحربية التي كان المسلمون يضعون فيها آمالهم ويتوقعون بواسطتها انتصارهم على العدو ،وأهم نقطة اطلع عليها ليون الجاسوس هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة في تمسكهم بدينهم ،فلقد كان المسلمون في الجزائر لا يملكون الأسلحة الحديثة [1] ،ولا الذخيرة والمصانع الحربية المتطورة ،ولا أموال طائلة على الأقل لشراء كل ما تحتاج إليه الحرب من تجهيزات ،وإنما كان التمسك بالدين هو القلب النابض عند جميع المسلمين ،غير أن نقطة ضعفهم كانت تكمن في اختلاف الطرق الصوفية التي كانوا يتبعونها .وقد عرف ليون كل ذلك واطلع على أدق أمور المسلمين وعاد إلى الحكام الفرنسيين في وقت كانت فيه فرنسا في أمس الحاجة إلى مثل هذه الأخبار الدقيقة ،النادرة التي كان محرما عليها معرفتها[2] .

وفي آخر الفصل نقول أن اتقان ليون روش للغة العربية ،وادعى الإسلام للالتحاق بدولة الأمير عبد القادر ،أفاد بذلك بلاده فرنسا ،سواء كان ذلك من تلقاء نفسه أو بإيعاز من الضباط الفرنسيين ،وأن فرنسا قد أجازته خير الجزاء ،بتقليده رتبا هامة في الجيش ،وخولته مناصب حكومية عالية ،بالإضافة إلى تكليفه مهام جديدة ،نتعرف عليها لاحقا .

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 33 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص33- 34 .

الفصل الثاني

عودة ليون إلى الجيش الفرنسي ومهمته الجديدة

الفصل الثاني : عودة ليون روش إلى الجيش الفرنسي ومهمته الجديدة

(1839 – 1844م)

سواء كان روش قد التحق بدولة الأمير من تلقاء نفسه أو بإيعاز من الضباط الفرنسيين ،فإنه أفاد بلاده باطلاعه على أدق الأمور عن المسلمين ،فعاد إلى الحكام الفرنسيين ،في وقت كانت فيه فرنسا في أمس الحاجة إلى مثل هذه المعلومات الدقيقة .

المبحث الأول : العودة إلى الجيش الفرنسي(1839 – 1841م)

لمعرفة حقيقة روش علينا مقارنته مع الفرنسي الذي أخلص للأمير عبد القادر ،وهذا الجندي هو مونسيل[1]،أحد الفرنسيين الذين تم الحكم عليهم بالإعدام ،وفقا للقانون الفرنسي ،من طرف المحكمة العسكرية في شهر أكتوبر 1837م ،وذلك لأنه قدم خدمات للأمير عبد القادر .كما أن بعض الكتاب الفرنسيين يعتقدون أن روش قد أخلص في خدمته للأمير ،وأن الفضل يرجع لروش في إنشاء مصانع الأسلحة والذخيرة وتطويرها ،وتنظيم الجيش وتجهيز القوات الإسلامية للأمير ،وتغيير النظام الداخلي والإداري لدولة الأمير ،بل أنه وصل إلى درجة أنه أثر على علاقة الأمير الخارجية مع فرنسا ،ومن ذلك أنه عمل على إفشال مهمة الرائد دي صال مبعوث المارشال فالي سنة 1839م(1255هـ) ،كما قدم نصائح إستراتيجية كثيرة للأمير عبد القادر ،فاقترح عليه أن يغير عاصمته من مدينة معسكر إلى مدينة سعيدة ،ليتوسط مواقع القبائل ومن هنا يستطيع السيطرة عليهم فيجمع بذلك كلمة المسلمين ،وتسهل عملية جمع الضرائب وبناء أسس دولته بحيث يكون بعيدا عن مشاغبات الفرنسيين ،كما أن هؤلاء الكتاب الفرنسيين خرجوا بنتيجة نهاية نقاشهم حول ليون روش بقولهم :" **إن روش قد أنكر شخصيته الفرنسية نهائيا ،ولم يعد يفكر إلا في بناء مستقبله مع الأمير** "[2] .

وإذا صدقنا كل هذه الأدلة التي تم اكتشافها ضد ليون روش وكلها تدينه ،ألا يستحق أن يتم إعدامه أم أن الأدلة غير كافية؟،أم أن في الأمر شيء آخر مريب قد عودنا عليه الفرنسيون؟ ، إن الشخص الباحث الحقيقي والموضوعي إذا حقق النظر جيدا في نظام الأمير استمد كل ذلك

---

[1] هذا الجندي حضر مع الأمير اجتماعا هو وبعض الضباط الفرنسيين بقيادة الجنرال ايبارد ،وتنكر مونسيل على بني جلدته باللباس الإسلامي ،فلم يعرفه الفرنسيون ،وأخذوا في مهاجمة المسلمين بلسان فرنسي ،وفي نهاية الجلسة كشف مونسيل عن نفسه للفرنسيين فتخوفوا من أن يخبر الأمير بما بدر منهم ،فتم اعدامه لما وقع في أيديهم ،والظاهر أن مونسيل لم يخبر الأمير بما قالوه لأن الوفد عاد سالما دون اهانة . ينظر: Roches ; op.cit. ; p 70

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ، ص 37 .

من النظم الإسلامية في العهود الزاهرة ،لما كان الفرنسيون بل حتى الأوربيون عامة يعيشون في عصور الظلمات ،وإذا اعتقد الفرنسيون أن تنظيم الفرق العسكرية وتقسيمها إلى فصائل ،وكتائب وفيالق قد اقتبسه الأمير من التنظيمات العسكرية الفرنسية بإيعاز من روش ،فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: من أين هذا لروش ؟ ،ذلك الضابط الشاب الذي كان عمره لا يتجاوز الثلاثين[1].

ولكن بناء على الأقوال والادلة الآنفة الذكر فقد كان من الإنصاف أن تنفد الحكومة الفرنسية حكم الإعدام في ليون روش ،بتهمة خيانته لفرنسا ووطنه ،وعمل على تقوية العدو ضدها، فإن كان إعدام الجندي مونسيل ،عقابا له على قتله ضابط صف فرنسي كان قد قسى عليه وتجبر ،فانتقم هذا الجندي لنفسه وأنقذ روحه من موت كان محتوما وهرب على إثرها إلى المسلمين، ماذا فعلت السلطة الفرنسية مع ليون روش[2] .

وصل ليون روش إلى مدينة وهران في منتصف شهر نوفمبر 1839 م الموافق ل 1255 هـ، بعد قضائه حوالي عامين إلى جانب الأمير حيث تم استقباله من طرف الجنرال جهينوك حاكم إقليم وهران بحفاوة وتم استجوابه بكل احترام وتقدير ،وقد كان ليون يعلن عن إصراره بحرارة شديدة وبصوت عالي ،وكانت أهم تلك المعلومات التي تم تقديمها للجنرال تتعلق بإعلان الأمير عبد القادر للجهاد ضد فرنسا من جديد ،وأنه يجوب ولاياته ويجهز قواته ،وأخبره أن الحرب ستندلع في الشتاء القادم ،كما أن الجنرال جيهينوك قام بإرسال رسالة بتاريخ 14 نوفمبر 1839 م ،إلى

[1] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص ص37 – 38 .

[2] المرجع السابق ،ص 38 .

المارشال فالي أخبره فيها أنه استجوب ليون ،وسيرسله إلى الجزائر لمقابلته على متن الباخرة فوتور، تحت قيادة النقيب "مارسو"[1] .

وفي هذا الحين كان الأمير عبد القادر قد أعلن الجهاد في جميع مساجد دولته ،وأمر جميع المسلمين بشراء الأسلحة والذخيرة والخيول والإعداد للحرب ،ولما علم بفرار ليون روش من تاقدامت اغتاظ لذلك كثيرا وأمر بمصادرة جميع ما يملك ،وحسب قول الجنرال جيهينوك في رسالته إلى المارشال فالي ،أن أحد عيونه (جاسوس) أخبره أن الأمير زوج امرأة ليون إلى أحد المسلمين، وسلم له منزله[2].

عندما وصل ليون روش إلى الجزائر تم استقباله من طرف المارشال فالي على انفراد ،حيث تلقى منه كل المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الأمير العسكرية والاقتصادية ،والاجتماعية ومواقفه السياسية ،وتم تعيينه مترجما محلفا من الطبقة الثانية ،كما كلفه بكتابة ما يعرفه عن الأمير وأن يحصي له كل القبائل الخاضعة له بأسمائها وأسماء شيوخها وعدد رجالها وعدتهم ومصادر قوتهم ،وهو العمل الذي كان روش قد قام به عند الأمير أثناء وجوده معه ،ويحتمل أن تكون الوثائق التي قام فيها بكتابة كل هذه المعلومات جلبها معه عند مغادرة تاقدامت .وأن يعين الذين ينوون تقديم ولائهم لفرنسا ،وقد عين المارشال السيد بير بروجر محافظ متحف الجزائر آنذاك لمساعدة ليون في أداء مهمته على أحسن وجه ،وقد كان ليون أهل لتلك المهمة حيث اعتمد على وثائقه فيما يخص المعلومات الإحصائية وطبوغرافيا القبائل ،ولما وصلت تقارير روش إلى باريس تم استدعائه من طرف الحكومة الفرنسية في شهر جانفي 1840 م الموافق ل 1256 هـ ،حيث تقابل هناك مع عدد من الوزراء كبار رجال الدولة منهم الدوق دور ليون وزودهم بمعلومات كثيرة بالإضافة إلى

---

[1] يذكر ليون روش أنه تنقل من الجزائر إلى وهران على متن سفينة الدولة أشيرون بتاريخ 19 نوفمبر 1839م ،إلا أن سفينة أشيرون آنذاك كانت تؤمن النقل بين الجزائر وبونة ،والباخرة القادمة من وهران بقيادة النقيب مارسو والتي وصلت إلى الوجهةيوم 18 نوفمبر وليس يوم 19 نوفمبر وكانت تسمى فوتور .انظر : . Marcel Emrit :op.cit.,p83

[2] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 31 .

كتابه الذي قدمه في الجزائر عن الأمير عبد القادر ،فتمت مجازاته على أحسن وجه ،وتم رفع رتبته إلى مترجم من الطبقة الأولى وعينوه إلى جانب الدوق دور ليون ،حيث اصطحبه إلى الجزائر في أوائل شهر افريل 1840 م ،لقيادة المعارك ضد الأمير[1] .

ولما رأى المارشال فالي أن ليون روش لن يقدم فائدة للفرنسيين وهو في مدينة الجزائر ألحقه بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة بهدف تنظيم اتصالات مع معارفه من رؤساء القبائل وجمع المعلومات منهم والتعرف على أخبار الأمير ،وهنا تم تكليف ليون بالعديد من المهام الجاسوسية في مدينة القليعة وذلك لكي يراقب مسلمي الحجوط ،الذين يعملون على نشر الفوضى والبلبلة في نواحي الجزائر ،كما شارك رفقة الجنرال فالي في عدة حملات عسكرية في خريف سنة 1840 م كما رافق الجنرال شانجرني في تموين مدينتي المدية وملیانة ،كما عينه فالي مترجم رئيس إلى جانبه خلفا لمترجمه ميلار الذي مات في تلك السنة[2] .

ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر في أواخر شهر ديسمبر 1840 م ،خلفا للمارشال فالي، كان يحمل معه وصايا كثيرة من باريس في صالح ليون روش ،بالمقابل قدم ليون تقارير مفصلة عن الأحوال العسكرية والسياسية لإقليمي الجزائر ووهران ،تمكن الجنرال بيجو من خلالها التخطيط بدقة للعمليات العسكرية المقبلة ضد الأمير عبد القادر[3] .

وتمثلت مهمة ليون هنا في مساعدة السيد دوماس في اختيار بعض الاشخاص من بين المائة والخمسين الحاضرين ،ويتم على إثر ذلك تقديم قائمة بأسمائهم للمارشال بيجو حيث يعينهم على رأس مختلف قبائل أقاليمهم ويحكموها باسم فرنسا[4] .

---

[1] Roches :op.cit. ; PP 200 – 210 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 40 .

[3] المرجع السابق ،ص 40 .

[4] المرجع السابق ،ص 42 .

كما واصل ليون مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير معتمدا في ذلك على معارفه من أتباع كل من الطريقتين التجانية والطيبية اللتين تكنان عداء قديم للأمير عبد القادر ،وكثف نشاطاته خلال سنتي :(1842 م –1843 م)الموافق ل (1258 هـ –1259 هـ) ،حيث يعود له الفضل في انتصارات الدوق دومال على زمالة الأمير في معركة وادي ايسلي ،في شهر أوت 1844 م الموافق ل 1260 هـ ،ليفوز في نيله مكافئة المارشال برتبة فرقة الشرف .

في هذا الوقت يصبح ليون روش المترجم الرئيسي الأعلى للجيش الإفريقي ،ومن أبرز رجال فرنسا إلى جانب بيجو الذي استمر في مطاردة الأمير على الحدود الجزائرية المغربية ، حيث أن الأمير كلما يجد أنه محاصر من طرف القوات الفرنسية يدخل القطر المغربي وذلك ليتزود بالأسلحة والذخيرة والمؤونة ،حتى ان بعض القبائل المغربية دخلت تحت لوائه [1] ،هنا فكر المارشال بيجو في محاصرة الأمير والضغط عليه من الغرب ،فطلب من ليون مهمة جديدة هي مساعدة الجنرال دي لاري وذلك لوضع خريطة جغرافية يبين فيها الحدود الجزائرية المغربية ،وذلك اعتمادا على الوثائق العثمانية ،أما ليون فقد كان يمارس أعمال الجوسسة حيث نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا ،حيث دس عيون له داخل الجيش المغربي في مركز لالامغنية بقيادة الأمير مولاي مُحَمَّد بن مولاي عبد الرحمان ،حتى أنه لما كان هذا الأخير يعقد اجتماعا سريا مفاده مساعدة الأمير عبد القادر ،كان أحد رجال ليون روش حاضرا يصغي فأفاده بكل القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع[2] .

---

[1] ومن ذلك قبيلة بني يزناسن في الجبال الواقعة في الغرب الجنوبي من وجدة ،وقبيلة أنقاد في شمال غرب نفس الجبال ،حيث وجد الأمير المساندة من هاته القبيلتين ،حتى أن أحد مرابطيها أعلن الجهاد باسم الأمير سنة 1844م ضد القوات الفرنسية . ينظر : يوسف مناصرية :المرجع السابق ،هامش ص 77 . نقلا عن :

Jaques caille : **une mission de leon roches 1845 Casablanca 1947** ;thèse ;pp 77 – 78 .

[2] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 35 .

المبحث الثاني : رحلة ليون إلى الحجاز (1841 – 1842م)

1) مهمة تونس ،مصر والحجاز :

قام ليون روش برحلة إلى الحجاز خلال سنتي (1841–1842 م) ،حيث كان متنكرا في زي حاج مسلم يدعى عمر بن عبد الله ،وقد كان هدفه الحصول من علماء الحرم على الموافقة على نص فتوى شرعية جاء بها من الجزائر ،وهي تجعل جهاد المسلمين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة ،وقد كان يريد مقابلة شريف مكة عندئذ مُحَمَّد بن عون والرضا بحكم الفرنسيين وعدم شرعية حركة المقاومة التي يقودها الأمير عبد القادر الجزائري ،وأثناء وجود ليون روش في الحجاز وأدائه المناسك ،وصف المسالك والمدن والناس وحياة المسلمين في مختلف وجوهها ،ومن خلال ما تقدم نستنتج أن رحلة هذا الرجل الأوربي الذي اعتبر نفسه ثالث مسيحي ،رجل أوربي ،يدخل الأماكن المقدسة الإسلامية[1] .

في سنة 1841م أصبح الحاكم العام للجزائر المارشال توماس بيجو ،أين فكر في نيل فتوى من كبار العلماء المسلمين في تونس ،تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين (الفرنسيين) ،وتفتت في عزيمة الجهاد عند المسلمين ،وذلك لتشتيت جمع المسلمين من حول الأمير ،وهو أمر لم يكن قد خطر على بال أحد من الحكام الفرنسيين السابقين له ،والجدير بالذكر أنه لولا آراء وتقارير روش ليون ما كان بيجو ليهتدي له بنفسه ،كما أن بيجو أثناء مفاوضات اتفاقية التافنة ،سمع قول الأمير :" **انكم تتحدثون عن دينكم ... لو كنتم مسيحيين ... لكنتم من أحسن أصدقائنا إذ أن القرآن ... يأمرنا بالسلم ... واحترام دين عيسى بن مريم .**"[2].

ولكن باعتبار أن بيجو كان رجلا عسكريا لم يكن يهتم بالأمور الدينية ،وكان يجهل سر قوة المسلمين وكان ليون وبحكم معاشرته للمسلمين كان يعلم أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم

---

[1] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 50 .

[2] MercelEmrit : **La lutte entre les généraux et les prêtres aux de buts de l'Algérie française** ;in**revue africaine** ;n 97 ;1953 ;pp 66 – 67 .

بدينهم ،ولذلك عمل على اقناعه بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب وأن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة ،ويقاتلوا عدوا أكثر منهم عددا وعدة ،ونظرا لماضي ليون مع المسلمين والإسلام وبحكم معرفته الجيدة للغة العربية ،كان هو الرجل الذي وقع عليه اختيار بيجو للقيام بهذه المهمة ،زيادة على أنه يملك معارف كثيرة مع كبار شيوخ القبائل وهم يثقون فيه لاعتقادهم أنه مسلم [1].

وقد قام الجنرال بيجو بتسليم ليون روش رسالة بتاريخ 19جويلية1841 م إلى قنصل فرنسا العام في تونس ،يوصيه فيها بمساعدة ليون وذلك للقيام بمهمته السرية ،ومستهلها :

نص الرسالة[2] :

الجزائر في ، 19جويلية1841م

السيد القنصل العام

" يشرفني أن أعلمكم بأنني كلفت السيد ليون روش الترجمان الرسمي ،بمهمة سرية في وسط إفريقيا ،وتقتضي الظروف مروره بتونس ،لذا أطلب منكم مساعدته وحمايته إذا لزم الأمر ،ليتسنى له القيام بهذه المهمة ،وإذا كان بحاجة إلى المال سواء للذهاب او للإياب ،ألتمس منكم اقراضه المبلغ الضروري ،وسأقوم بتسديده في أقرب الآجال وقد يحتاج السيد روش إلى شراء اثنين من الخيل والعدة من تونس ،لذا ألتمس منكم مساعدته في اقتنائها ."

تقبلوا سيدي القنصل العام ،فائق عبارات التقدير والاحترام .

بيجو

كما أن روش بعث برسول إلى التجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها وطلب منه أن ينظم إلى صفهم ،ولتأييد الفتوى كلم رؤساء الطريقة الطيبية [3] ،وخليفة الزيبان ،و أولاد

---

[1] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 40 .

[2] MercelEmrit : la légende ;op.cit. ;p 88 .

[3] هذه الطريقة كان مقرها مدينة وزان بالمغرب ،لذلك تسمى أحيانا بالوزانية ،وترجع إلى أصول شاذلية ،ومع مرور الزمن أصبح رجالها من مؤيدي الفرنسيين في الجزائر ،واعتمد هؤلاء على نفوذ الطريقة في الصحراء فاستفادوا منها .ينظر : أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ...،المرجع السابق ،هامش ص ص324 – 325 .

سيدي الشيخ ،حتى أن التجاني سعد بهذه العملية ،التي كانت حسب رأيه سوف ترسخ الهدوء في نفس المسلمين الذين يحاربون فرنسا تحريضا من الأمير عبد القادر ،،واستدعى التجاني مقدمي الطرق المتحالفة معه ،وتم الاتفاق على اختيار ممثل للتوجه إلى القيروان في 19جويلية1841 م ،وقد امتثل كل الرؤساء لمطلب التجاني واصطحبت قوافلهم ليون روش إلى تونس[1] .

أما عن روش فقد كان يرتدي لباسا اسلاميا عند وصوله إلى تونس مع هذه القوافل ،وعندئذ تم تسليمه جواز سفر ،إلى مدينتي صفاقس وقابس وذلك في 07أوت 1841م[2] ،كما أنهم واصلوا سيرهم حتى دخلوا القيروان ،هنا استطاع بمساعدة رفاقه من أتباع الطريقة التجانية أن ينال الموافقة على نص الفتوى من علماء القيروان ،ولتدعيم هذه الفتوى واصل ليون رحلته إلى الحجاز مرورا بمصر حتى أنه تمت المصادقة من طرف علماء الأزهر وشريف مكة والطائف على محتوى هذه الفتوى ،ثم بعث ليون بنصها إلى الجنرال بيجو قبل نهاية سنة 1841م ،وقد استقر هو في روما إلىأن أمره الملك لويس فليب[3] بالعودة إلى الجزائر في ماي 1842م[4] .

وخلاصة هذه الفتوى التي لم يعثر على النص الأصلي لها ،والتي قيل أن الذي صاغها هو الشيخ مُحَمَّد الصغير التجاني وبعض مقدمي الزوايا الموالية لفرنسا ، ولذا يجب الحذر من آراء المؤرخين حولها خاصة الفرنسيين منهم ،" **يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم أو أرضهم بالقوة وذلك إن لم يؤذوا هؤلاء نسائهم و أطفالهم ،وسمحوا لهم بممارسة دينهم ،وتركوا لهم حرية ايمانهم** ..." ،وكان روش يعلم أن الجزائريين على رأيين : رأي يمثله الأمير عبد القادر وأتباعه من المقاومين ،وهو أنه لا يمكن لشعب مسلم أن يقبل بحكم الكفار ،أما الرأي الثاني

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 41 .

[2] MercelEmrit : la légende ;op.cit. ;p 88 .

[3] لويس فليب (1773 – 1850م) ولد في باريس ،كان والده دوقا على إمارة اورليون ،وابتداء من سنة 1785م أصبح دوقا على منطقة دي شارتر ،كان من أنصار الثورة الفرنسية ،ليصبح في سنة 1792م جنرالا ،وبعد أحداث 1830م عين ملكا لفرنسا ،واستمر حكمه إلى غاية 1848م . ينظر : فارس العيد : المرجع السابق ،ص 22 .

[4] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 41 .

فيمثله الذين لم يجاهدوا لأسباب مختلفة أو جاهدوا ثم تعبوا ،وعلى رأس هذا الرأي بعض الطرق الصوفية ،ولكن اقناع الجزائريين بوقف الجهاد لا يكون إلا إذا وافق علماء المسلمين وبالخصوص في الأزهر ومكة المكرمة على فتوى في هذا المعنى [1] ،كما أن الفرنسيين قاموا بتوزيع هذه الفتوى على القبائل وانتشر خبرها في الجزائر عامة ،حتى أن المسلمين الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد استبشروا بها ،و أعجبتهم الفكرة اضافة إلى إرسال الجنرال لاموريسيير[2] إلى ليون روش من اقليم وهران إلى بيجو يخبره بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين ،حتى أنهم تواروا عن القتال نتيجة لذلك كتب بيجو بدوره إلى وزير الحربية بتاريخ 23 نوفمبر 1841 م يقول : " **لقد كان سفر ليون روش إلى مكة وانجراره وراء الحجاج أمر لم أرضه ،ولكن نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية فقد نال اعجابي وصالحته على السعي المحمود** ..." .

وفي سنة 1912م أوردت مجلة العالم الإسلامي مجمل صيغة الفتوى فقالت : " **إذا دافع المسلم عن بلاده وعجز وتغلب عليه النصارى فيها ،ولكنهم أباحوا له شؤون دينه واحترموا نساؤه ومساجده ،وهو يرجوا أن يتحرر من غلبتهم عليه ذات يوم ،هل يجب عليه الجهاد أم يسقط عنه ؟ "** [3].

بعد ذلك أعد بيجو خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية الكريمة : " **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ،والعاقبة للمتقين "** [4]،وقد استعملها منذئذ في جميع مراسلاته مع

---

[1] أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،ج 05 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط 02 ،2005م ،هامش ص ص36 – 37 .

[2] كان من انصار الاشتراكية المثالية ،وقد تولى خلال الثلاثينيات إدارة المكتب العربي ،حيث تدار الشؤون الأهلية ،ورغم أنه هو الذي أعطى كلمة فرنسا للأمير في ديسمبر 1847م ،فإنه رفض اطلاق سراحه عندما أصبح (أي لاموريسيير) وزيرا للدفاع . ينظر : أبو القاسم سعد الله :خلاصة تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ،ص40 .

[3] أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء ...،المرجع السابق : ص37 .

[4] أصل الآية الكريمة :قال الله تعالى : " **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** " ،القرآن الكريم : **سورة الاعراف**،الآية ،128 .

المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين ،وأغلب الظن أن ليون هو من أشار عليه بذلك ،لأن بيجو لا يعرف العربية وليس له معرفة بكتاب الله ،كما أن ليون وهو في الجزائر كلفه المارشال بيجو ليرافق السيد دوماس مدير المكتب العربي وذلك لأن بعض قبائل التيطري وصلوا للجزائر في 02جويلية1842 م لأداء يمين الولاء لفرنسا أمام الحاكم العام[1] .

2) مرافقو روش ومساعدوه :

ذكر ليون روش أن اجتماعا دعا إليه شيخ الزاوية التجانية في عين ماضي وهو مُحَمَّد الصغير التجاني[2] ،كما حضره مقدمو الطريقة الطيبية والشيخية وغيرهم واتفقوا على صياغة الفتوى وعلى حملها إلى العلماء في القيروان وعلماء الأزهر ،وعلماء الحرمين الشريفين ،للموافقة عليها كما عين الشيخ مُحَمَّد الصغير مقدمين من رجاله يرافقان روش في رحلته هما الميلود بن سالم الأغواطي ،ويحي البوزيدي ،كما كتب الشيخ مُحَمَّد الصغير رسائل إلى مقدميه في تونس لتسهيل مهمة ليون روش ،منهم الشيخ عبد الله بن محجوب[3].

أما في القاهرة فقد التقى روش بالشيخ حسن بن إبراهيم التونسي ،الذي كان مفتيا بالقيروان وهذا الشيخ هو الذي لازم روش أثناء رحلته إلى الحجاز ،كما أنه كان يقلده في أداء الشعائر

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 42 .

[2] توفي سنة 1853م له شخصية قوية وهو أحد أبناء الشيخ التجاني مؤسس الطريقة التجانية والغالب أنه ولد بالمغرب ،حيث لجأإليها والده بعد مضايقات العثمانيين ،وبعد وفاة والده جاء هو واخوته رفقة الحاج التماسيني ،ليرعاهم ويحضرهم للمسؤولية ،وهي قيادة الطريقة ،بعد دخول الأمير إلى عين ماضي ،وأخرج منها مُحَمَّد الصغير التجاني ،حقد عليه وأصبح مستعدا للتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير . ينظر : أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ...،مرجع سابق ،ص 324 .

[3] هو مقدم الطريقة التجانية في تونس (القيروان) ،وهو الذي تسلم الرسالة من مُحَمَّد الصغير لتقديم روش إلى الجهات المعنية ،وهو الذي جمع علماء القيروان للحصول منهم على الموافقة على الفتوى التي يحمل نصها روش ،وابن محجوب كان يعرف أن روش فرنسي متنكر ،أما العلماء فقد تقدم إليهم على أساس أنهم من عائلة العربي (غرب الجزائر) التي عاقب الأمير زعيمها ينظر : ليون روش : **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام (مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز)** ،تر : مُحَمَّد خير محمود البقاعي ،ط1 ،لبنان ،2011 ،هامش ص 33 .

الدينية ويشير روش إليه دائما باسم المفتي ،كما أن الشيخ كان متقدما في العمر وترافقه زوجته ،حيث كان يقيم في القاهرة عند صهره الذي يسميه روش الشيخ التونسي ،وهو على ما يبدو الشيخ مُحَمَّد بن عمر التونسي [1] مؤلف كتاب " تشحيذ الأذهان " ،الذي كان مخالطا للفرنسيين في مصر حتى أن الرجلان التونسيان كانا يعتقدان في حقيقة إسلام روش فعلمه الشيخ التونسي اللغة العربية الفصحى ،ووجهه الشيخ المفتي إلى التعمق في العلوم الدينية وذلك أثناء إقامة روش بالقاهرة[2].

كما نجد أيضا من الأسماء الأخرى التي ذكرها ليون روش في رحلته ،الشيخ عبد الله بن محجوب مقدم التجانية في القيروان ،فهو الذي قدم الفتوى إلى علماء هذه المدينة وذلك اثر اجتماعهم في جامع عقبة بن نافع ،وطلب منهم الموافقة عليها ،نجد كذلك أن روش يذكر الشيخ القادري في مصر ويقول أنه الوحيد الذي عارض الموافقة على الفتوى عند اجتماع علماء الأزهر ويورد سبب رفض الشيخ القادري الموافقة على الفتوى بكونه ينتمي إلى الطريقة القادرية ،التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر كما أنه كان صديقا لمحي الدين والد الأمير عبد القادر [3] ،الذي يعرفه منذ سنة 1827 م حيث مر محي الدين بالقاهرة رفقة ابنه عبد القادر في طريقهما إلى الحج ،ولم يذكر ليون اسم أي عالم من علماء الأزهر ،وإنما قال ان الذي ترأس الاجتماع هو أمام الجامع الأزهر ،والذي قدم الفتوى إلى المجلس هو الميلود بن سالم كما أن روش لم يذكر علماء الحرمين الذين اجتمعوا في الطائف بدعوة من الشريف ،حيث أن

---

[1] كان يعمل مع البعثة الفرنسية في مصر ،كما تعرف على الدكتور بيرون هناك وهو الذي ترجم كتاب تشحيذ الأذهان إلى الفرنسية . ينظر : أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ،ص 325 .

[2] ليون روش : المرجع السابق ،ص 36 .

[3] حج الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر سنة 1827م ،بعد أن كانت السلطات العثمانية قد اعتقلتهما ومنعتهما من ذلك ،وخوفا عليهما كما ادعت ،وأثناء السفر مر الشيخ محي الدين وابنه بالقاهرة ،واحتفل بهما مُحَمَّد علي باشا والي مصر ،باعتبار الشيخ من العلماء المتصوفة .ينظر : مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري :المرجع السابق .

اجتماع العلماء عند الشريف بالطائف كان يجري كل سنة أثناء الحج ،باستثناء الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي[1] ،هذا ما يؤدي إلى الشك في مصداقية روايات ليون روش[2] .

أما من الجانب الفرنسي فنجد أن الفرنسيين الذين سهلوا مهمته نذكر منهم ،بالإضافة إلى المارشال بيجو نجد فلوجنسفريسنيل قنصل فرنسا في جدة ،الذي كان يقيم مؤقتا في القاهرة كما أن فرنسيل كان يعرف شريف مكة مُحَّد بن عون معرفة جيدة ،والدليل على ذلك أنه كتب إليه رسالة تزكية قوية تتعلق بمهمة روش ومن خلال رحلة روش نجد أنه لقي ترحيبا كبيرا ،بل نجا من الموت على يد الشريف فهو الذي أنقذ حياته ،كما استفاد ليون أيضا في القاهرة من خبرة الدكتور بيرون مدير مدرسة الطب بالقاهرة ،ثم مدير المعهد العربي الفرنسي في الجزائر ،كما نجد من الذين ساعدوا روش قنصل فرنسا في تونس وهو دي لغو الذي كان موكلا بمنح روش التسهيلات في تونس ثم مالطا ،فمصر[3].

لم يطلق ليون روش على كتابه اسم رحلة بل قال أنه كان سيسميه مذكرات ،بعدها عدل عن ذلك وأطلق عليه اسم اثنان وثلاثون سنة في الإسلام ،وهو في جزأين يضم كل منهما أكثر من 500 صفحة ،فموضوع الجزء الأول هو أوضاع الجزائر وحياة الأمير عبد القادر ، أما الجزء الثاني فقد خصصه لمهمته في الحجاز وحياة المارشال بيجو ،وتبدأ الرحلة منذ خروجه من الجزائر إلى تونس ثم مصر ،لكن موضوع الرحلة يبدأ من الصفحات (61 – 149) ،حيث نجد في هذه الصفحات صور تمثل الكعبة والحرم المكي والحرم المدني والوقوف بعرفات وطهارة الحجاج وغيرها ،وقد ادعى روش أنه ثالث مسيحي يدخل مكة المكرمة بعد الإسباني دومنغو باديا وهو المعروف باسم علي باي سنة 1807 م قبل ولادة روش بعامين ،والانجليزي جون بوركهارد سنة 1814 م[4].

---

[1] هو مؤسس الطريقة السنوسية ،ولد بالقرب من مستغانم ،بعد أن درس في فاس ،هاجر إلى الحجاز ثم استقر بليبيا . ينظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،المرجع السابق .

[2] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ...،المرجع السابق ،ص 225 – 226 .

[3] المرجع السابق : ص 326 – 327 .

[4] ولد في لوزان (سويسرا) ودرس في بريطانيا ،حيث تعلم اللغة العربية ،كما أنه درس العربية في حلب بسوريا وقرأ القرآن وتفقه في الإسلام ،واعتنقه وتسمى بإبراهيم بن عبد الله ،وحج بيت الله الحرام ،وهو من اكتشف آثارا للبتراء بالأردن ،وتوفي بالقاهرة سنة 1817م ودفن بها : ينظر : نجيب العقيقي :**المستشرقون** ،ط 04 ،دار المعارف ،القاهرة ،1980م ،ص ص02 – 52 .

المبحث الثالث : وصفه لمظاهر الرحلة

1) المسالك والمحطات :

بعد عشرة أيام من مغادرة ليون روش القاهرة ،وصل ركب الحجاج إلى مكان يدعى مغائر شعيب[1] وهو مكان يقول عنه روش ،واد فيه نخيل و أشجار مثمرة من كل الأنواع ،وكان ذلك يوم 16 نوفمبر 1841 م الموافق لـ الفاتح من شوال 1257 هـ ،كما مروا بمحطات مثل عيون القصب والمويلح إلى أن وصلوا إلى ينبع النخل[2] أو ينبع البر حيث استراحوا بعض الوقت ،ثم واصلوا السير إلى ينبع البحر حيث تسوقوا ،كما وصف ليون ينبع البحر بالنشاط التجاري وغيره وتحدث عن سكانها ومبانيها وعلاقاتها وقد كانت القافلة التي فيها ليون تضم حوالي 100 جمل ،كما توقفت القافلة عند بدر التي هي من بين محطات القوافل المتجهة لمكة ،ونجده هنا تطرق للمعركة التي وقعت بين المسلمين والمشركين (قريش) في السنة الثانية للهجرة ،كما زاروا في طريقهم مسجد الغمامة ،مع خوفهم من هجوم البدو عليهم لأن قافلتهم لم تكن محمية بالجنود مثل بعض القوافل الأخرى[3].

كما أن القافلة كانت تسير ليلا وتتوقف في النهار للنوم ،والطريق من بين بدر والمدينة كان سهلا لأنه يعبر أودية فيها مزارع مسقية على حوافها وحولها نخيل و أشجار مثمرة ،لكن الموقع المسمى (ثنية الوسط) كان صعبا بل خطرا ،بعدها واصلوا سيرهم إلى مكان يدعى واد الشهداء حيث ذكر لهم الدليل أن هناك قبور لأربعين من الصحابة الذين استشهدوا أثناء معركة ضد المشركين ،فنزل ليون والقافلة من على ظهور الجمال ودعوا الله عند تلك القبور ،بعدها عسكروا في

---

[1] من محطات الطريق القديم للحج المصري يقع في أرض مدين . ينظر : ليون روش : المرجع السابق ،هامش ص51 .

[2] ينبع النخل :بلدة عامرة ،تقع في وادي ينبع على بعد 50 ميلا تقريبا شرقي ميناء ينبع الواقع على البحر الأحمر ،اشتهرت بكونها احدى محطات الحج المصري . ينظر : ليون روش ،المرجع السابق ،ص54 .

[3] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ.... ،المرجع السابق ،ص328 .

ينظر أيضا : ليون روش : المرجع السابق ،ص 51 – 61 .

واد العقيق لتطل المدينة عليهم بعدها بالخصوص على قبة الرسول ﷺ ،وقد كان روش يقلد المفتي المرافق له في الدعاء والصلوات والابتهالات وحتى في قراءة آيات من القرآن الكريم[1].

دخلوا المدينة المنورة من باب العنبرية ،وبعد أن قطعوا جسرا نزلوا ساحة المناخ الفسيحة التي تفصل المدينة على الضاحية التي هم فيها نازلون ،كما أنهم مروا بالباب المصري وقادهم الدليل إلى حي الآغوات حيث سجل روش أنه كان مهتما برؤية المدينة المنورة التي لم يدخلها قبله سوى مسيحي واحد أو اثنين كما وصف الحرم المدني والشعائر الدينية التي أدوها فيها ،وفي 14 ديسمبر 1841 م الموافق ل 29 شوال 1257 هـ غادر روش المدينة المنورة من الباب المصري ،وانضموا إلى قافلة تضم حوالي 100 جمل متجهة إلى جدة ،وقد سلكوا نفس الطريق الذي جاؤوا منه وهو طريق ينبع المدينة ،حيث استغرقوا أربعة أيام للوصول إلى جدة ،حيث ذكر ليون أن هناك محطة تدعى الصفراء وهي بلدة ذات بساتين ،ومنها انفصلوا عن القافلة واتجهوا إلى مكة المكرمة ،وتوقفوا عند وادي زوارق ،كما ساروا بمحاذاة سلسة جبلية منها جبل ابواب ونزلوا عند بئر مستورة ،وواصلوا السير إلى رابغ البعيدة عن البحر حوالي 09 كلم ،ومنها وصلوا إلى الخليص[2] ،وكان عليهم أن يمروا بمضيق صعب يدعى ثنية الخليص ،ثم مروا بوادي جموح [3] الذي ينتهي عند وادي فاطمة وسط النخيل والاشجار المثمرة ،وفي الوادي الاخير أحرموا لأنهم أصبحوا على مسافة يوم واحد من مكة المكرمة ،هنا وصف روش طريقة الإحرام ولوازمها ،وذكر أنه كان يقلد المفتي المرافق له ،وأنهم قضوا الليل في الترتيل والدعاء ،و أنه أحس بالبرد فتغطى ببرنوس رغم أنه مخيط ،بعدها

---

[1] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ .....،المرجع السابق ،ص328 .

ينظر أيضا : ليون روش : المرجع السابق ،ص 62 – 63 .

[2] تقع في سهل واسع أين تناثرت القرى الصغيرة هنا وهناك ،ويطلق على هذه التجمعات معا اسم عام هو الخليص . ينظر : ليون روش : المرجع السابق ،ص 87 .

[3] كانت قديما عينا متدفقة غزيرة المياه ،على طريق مكة إلى المدينة ،كانت محطة رئيسية للحجاج . ينظر : المرجع السابق ،ص 87 .

نزلوا الميمونة القريبة من مكة وترجلوا فيها وتركوا جمالهم وحاجاتهم في الحي الشامي القريب من الحرم ، ولما وصلوا إلى باب العمرة استقبلهم المطوفون الذين وجهوهم للدخول من باب السلام[1] .

كانت نوافذ المنزل الذي أجروه تطل على ساحة الحرم ،وقد أطال ليون وصف الكعبة ومكة والشعائر الدينية عند المسلمين ،كما انتقد عادة دفع البقشيش ،واستغلال الحجاج ووصف مداخل مكة وموظفيها (خدام الحرم) ،وكان يقارن بين الشعور الديني عند المسلمين في مكة ،وفي الجزائر ولا سيما عند المجاهدين مع الأمير عبد القادر والشعور عند المسلمين والمسيحيين ،وفي هذا الوقت جاءت موافقة الشريف مُحَمَّد بن عون[2] على استقباله ،وأرسل إليه الشريف كتاب الأمان ووسائل المواصلات والخدم وقد سماه الشريف في الكتاب الذي أرسله باسم (عمر بن عبد الله الجزائري)[3] ،ورافقه إلى الشريف مقدم الطريقة التجانيةالميلود بن سالم الاغواطي ،حيث قطعوا المسافة بين مكة والطائف وهي تبلغ حوالي 90 كم في ظرف يومين ،كما مروا بعرفات وفيها استبدلوا الجمال بالحمير وذكر اسم المحطة في جبل عرفات وهي قهوة عرفات ،كما أنه وفي طريقهم إلى الطائف مروا على قرية ر أس الكرا ثم جبل الكرا الذي تسكنه قبيلة هذيل ومروا بواد خصب اسمه وادي محرم ،وعند اقترابهم من الطائف وجدوا واديا تزرع فيه قهوة ،وقد حضي ليون في الطائف باستقبال رسمي ،واعجب بالشريف وسياسته ،رغم أنه كان في نظره تابعا لسياسة مُحَمَّد علي باشا والي مصر[4].

---

[1] المرجع السابق ،ص 328 – 329 .

[2] الضريف مُحَمَّد بن عبد المعيد بن عون ،أهم شخصية في أسرة الأشراف ذوي عون ،وهو الجد الأعلى للأسرة الهاشمية التي حكمت الحجاز وسوريا والعراق ،وتحكم الأردن حاليا ،بقي أميرا لمكة المكرمة مدة 25 سنة ،وتوفي في شعبان 1274هـ الموافق ل مارس 1858م ،وكان عمره حين وفاته 90 سنة . ينظر : ليون روش : المرجع السابق ،هامش ص 80 .

[3] هذا الاسم منحه السيد فيرينيل لروش في كتاب التوصية الذي وجهه للشريف ،كما ذكر روش للأمير عبد القادر أن أهل الجزائر كانوا يسمونه عمر ،وقال ان الأمير وافقه على ذلك ،لان الخليفة عمر اعتنق الإسلام أيضا وحثه على الاقتداء به .،أما اسم عبد الله فلم يشر ليون إلى سر اضافته في كنيته .

[4] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ...،المرجع السابق ،ص 329 .

ينظر أيضا : ليون روش : المرجع السابق ،ص 130 – 131 .

ونجح مقدم الطريقة التجانية المذكور في تمرير الفتوى التي قام روش برحلته من أجلها ،كما حصل أيضا من الشريف على وعد بتحسين معاملة الحجاج الجزائريين باعتبارهم من رعايا فرنسا ،وعندما اقترب موسم الحج طلب ليون من الشريف السماح له بالرجوع إلى مكة لأداء مناسك الحج ،فوافقه على ان يرجع بعد الحج إلى الطائف[1] ،قضى روش تسعة ايام في الطائف وفي طريق العودة إلى مكة مروا بمنازل شداد حيث آبار مياه عذبة ،وعند وصوله إلى مكة ،أعلنت طلقات المدفع وصول قافلة الحج الشامي التي نزلت في شمال مكة بمكان يدعى الشيخ محمود ،وفي اليوم التالي 18جانفي1842 م وصلت قافلة الحج المصري التي نزلت في السفوح الواقعة شمال طريق مكة الطائف ،أي على بعد حوالي كم واحد من مكة وتهاطلت قوافل الحجيج من شتى أنحاء العالم الإسلامي ،وخرج ليون ومرافقوه إلى عرفات ومروا بطريق يسمى الم أزمين ،وشاهد كيف تنزل كل قافلة هناك بترتيب موروث منذ أمد بعيد ،وقد صعد جبل الرحمة ثم حان وقت الرحيل من عرفات وأخذوا في التلبية فإذا بالحراس يتقدمون منه صائحين أيها الرومي[2] ،ثم قبضوا عليه وكتفوه ولفوه ووضعوه على جمل ،وذلك لأن بعض الحجاج الجزائريين قد تعرفوا عليه و أعلنوا لسلطات الشريف أنه مسيحي وجاسوس للحكومة الفرنسية ،وهناك تدخل الشريف و أنقذ حياة روش و أرسله إلى جدة ومن هناك ركب على ظهر سفينة إلى القصير ،ومنه إلى النيل عن طريق قنا وقد زوده الشريف بصرة من الذهب والفضة[3].

2) قافلة الحج ومعاملة الحجاج :

يقول روش أن الحجاج لا يتمتعون بدرجة واحدة من المعاملة و أركابهم صدفة ،بل هناك سياسة وتقاليد موروثة منذ القدم ،وذكر ليون أن هناك قافلة الحج الشامي ،وركب الحج المصري ،والحجاج المغاربة والهنود واليمنيين والزنوج والبدو ،وبما أن ليون كان من ممثلي الحكومة الفرنسية

---

[1] ليون روش : المرجع السابق ،ص 138 – 140 .

[2] الرومي : المسيحي غير العربي . ينظر : أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ،هامش ص330 .

[3] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ،ص330 .

وهو مبعوث لمهمة محددة فقد ألح سواء أثناء مقابلاته الرسمية أو في ملاحظاته العابرة على سوء معاملة الحجاج الجزائريين الذين هم رعايا فرنسا ،والذين كانت فرنسا تستعملهم كذريعة للتدخل في شؤون الحجاج لمنافسة بريطانيا ،فقد قال ليون أن بعض الحجاج المصريين حدثوه عما يلاقيه الجزائريون في ينبع والقصير وجدة من سوء المعاملة ،مثل مطالبتهم بدفع الضرائب في المقابل لا يجدون الدعم من السلطة المحلية ،حيث اضطر الجزائريون إلى اخفاء نسبهم ،وقد اعتبرهم ليون ضحايا ،لأن كثيرا منهم كانوا يموتون جوعا وكان بعضهم يختفي في البواخر التي ركبوها لأن الرياس يرمون بهم في البحر بعد تجريدهم مما عندهم ،هنا يطالب فرنسا بالتدخل لصالح رعايا المسلمين[1].

وأثناء لقائه مع الشريف بالطائف أخبره ليون أن مهمته تتمثل في أمرين ،الموافقة على الفتوى ووضع حد لسوء معاملة الحجاج الجزائريين ،حيث يذكر ليون ان الاهتمام كان مركزا على قافلة الحج الشامي والمصري لانهما الركبين الرسميين اللذين لكل منهما محمل ومرافقون رسميون ،بعدها يذكر ليون ان الركب الشامي عند وصوله لمكة يقوم باستعراض وسط مكة رفقة الجنود الأتراك ،وذلك بتقدمه المحمل هو (جمل يتميز بحمل الهودج[2] مزين بشتى أنواع الزينة) ،ووراء المحمل يسير باشا دمشق ومعه مرافقوه ،كما ذكر سابقا بعد المحمل الشامي ،تأتي قافلة الغرب التي جاءت مع الركب المصري ولها هي الأخرى محمل وأمير وفرقة من الخيالة[3] .

ليون روش وشريف مكة:

لقد أحاط ليون نفسه بعلاقات عديدة لتسهيل مهمته بالحجاز ،وهي علاقات تبد أ من الجزائر ،تونس ،مصر ،وتنتهي بالحجاز ،وهناك رجال السلطات الفرنسية وعلى ر أسهم الجنرال بيجو ،فريسنيل ،وبيرون ،وهناك رجال الطرق الصوفية في الجزائر وتونس ،وهناك بعض العلماء

[1] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ، ص 342 – 343 .

[2] الهودج يسمى في الجزائر ،الباصور ،وهو خيمة صغيرة تثبت على ظهر الجمل لتحجب فيها المرأة عن السفر .

[3] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ،ص 343 .

أمثال مُحَّد بن عمر التونسي ،كما أن ليون جاء رفقة بعض رجال الطريقة التجانية ثم أضاف إلى هؤلاء من أسمائهم أمراء الحبشة وأصهار الشريف الذين لم يذكر أسماءهم[1].

لما جاء ليون روش إلى الطائف للحديث إلى شريف مكة فوفر له ختم الأمان ،المختوم بختمه الرسمي ،وقد وجد الشريف في منزله بوادي السلامة وحملتهم إليه خيول بقيادة أفراد من أهل النوبة وقد أعجب ليون بوسامة الشريف مُحَّد بن سيدي عون ،وقال إن سياسة هذا الأخير تابعة لسياسة مُحَّد علي والي مصر ،ومن ثمة فهو لا يكن أيّ عاطفة نحو العثمانيين[2].

كما أن شريف مكة عون كان معجبا بالأمير عبد القادر الجزائري ،ونضاله من أجل تحرير وطنه ،ومع ذلك استمع إلى رأي مقدم التجانية فيه الميلود بن سالم وغيره من شيوخ الطرق الصوفية ،الذين جاؤوا لمساندة الفتوى التي تهدف لوقف كفاح الأمير ضد فرنسا ،وقد كان الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي هو الوحيد الذي عارض بشدة تلك الفتوى ،حيث قال عنه روش أنه من أتباع القادرية ،وذكر روش للشريف أنه مكلف من طرف أصدقائه المرابطين في الجزائر لمطالبة الشريف بالتدخل لصالح الحجاج الجزائريين ،كما أن بيجو كلفه بذلك بصفته الحاكم العام باسم فرنسا ،أما الفتوى فقد قال روش للشريف أنها من أجل السلام والاستقرار في الجزائر التي تمزقها الحرب[3].

ولقد مدح روش الشريف عون أنه كان متسامحا دينيا لأنه جالسه أكثر من أربع ليالي وقال أنه تأثر بالروح الإسلامية وجمال اللغة العربية عند الشريف ،وتمنى أنه لو يبقى معه مدة أطول وقال عن نفسه أنه أصبح ذا تفكير مستشرق لاتصالاته بالشريف وغيره ،كما تحدث عن اكرام الشريف له وأنه وضع على ذمته حصانا عربيا أصيلا طيلة مدة إقامته ،لكن ليون لم يستعمله سوى مرة

---

[1] المرجع السابق ،ص 343 – 344 .

[2] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 65 .

[3] أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ ... ،المرجع السابق ،ص 344 .

واحدة للتجول في الطائف و أخذ عن الشريف قوله أن العقيدة الإسلامية بد أت تضعف عند المسلمين ،وقوله أن العالم الإسلامي عرف رجلين ظهرا لانقاد المسلمين ،وهما الشيخ شامل [1] في المشرق ،والأمير عبد القادر في المغرب .

وقد قارن ليون روش بين الروح الدينية التي عرفها وهو في دولة الأمير عبد القادر بعض الوقت ،وبين الروح الدينية في الحجاز ،وقال عن مسلمي الجزائر كانوا يتبعون أميرهم في جهاده بإخلاص أما عرب مسلمي الحجاز فقد كانوا يتبعون اهل مكة وغيرهم ممن ليس لهم عقيدة دينية راسخة ،بل أن روش قال أن حرارة العقيدة الإسلامية لدى الأمير عبد القادر أقوى منها عند الشريف ،لأن الأمير في نظره كان رجلا متقشفا زاهدا في الدنيا ،بينما الشريف كان مشغولا بشؤون الدنيا ،بل حتى أن ليون قال أن لو حل الشريف محل عبد القادر لوجدت فرنسا فيه حليفا مخلصا ولوجد فيه مسلمو الجزائر أميرا يضمن لهم السلام والرخاء ،ولو كان الأمير محل الشريف لرفع راية الوهابية وأفشل محاولات اسطنبول ومصر[2].

وفي الأخير نقول أن من خلال حديث روش عن الشريف ،هو أن هذا لم يكن يعلم عن عقيدة ضيفه سوى أنه مسلم جزائري ضمن الوفد الذي يتكون من رجال الدين ،ولما اكتشف الشريف حقيقة ليون ،و أن القاضي اقتنع بر أيهم ،الحجاج الجزائريين الذين ر أوه وبالرأي القائل أن يدفع ليون الجاسوس الفرنسي المسيحي ر أسه ثمنا لتبخيس الأماكن المقدسة ،هنا أعطى الشريف تعليماته السرية بإنقاذ حياة روش ،وكلف شخصا بتهريبه من مكة إلى جدة ومنها إلى القصير فمصر وتظاهر للناس والقاضي باتخاذ ال لازم ضد ليون روش ولكنه في الواقع قد نجاه من أجل وصية فريسنيل بل حتى أنه أعطاه مالا يواجه به طريق العودة ،ورغم أن ليون روش قد حقق هدفه

---

[1] الشيخ شامل الداغستاني الذي حارب الاستعمار الروسي بناحية القوقاز ،وقد توفي بالحجاز بعد سجنه الطويل في روسيا ،وكان تحريره من السجن بالتدخل من الأمير عبد القادر الجزائري لدى نابليون الثالث ،الذي تدخل بدوره لدى القيصر الروسي . ينظر : أبو القاسم سعد الله : **بحوث في التاريخ** ...،المرجع السابق ،هامش ،ص 345 .

[2] أبو القاسم سعد الله :**بحوث في التاريخ** ....،المرجع السابق ،ص 345 .

من رحلته في ظاهر الأمر فـإن المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر تواصلت ستة سنوات أخرى ،وكان على المارشال بيجو أن يتخلى عن مهمته دون تحقيق الانتصار على الأمير[1] .

وفي الختام نستنتج أن الفترة التي قضاها روش في دولة الأمير ،كانت أفادته كثيرا لمعرفة نقاط الضعف ونقاط القوة عند المسلمين ،أين استطاع توظيفهما في انجاز مهمته الجديدة ،باستصدار فتوى من علماء المسلمين ،تحرم القتال ضد فرنسا ،مستعينا بضعاف النفوس رجال الطرق الصوفية المعادين للأمير.

[1] أبو القاسم سعد الله :**بحوث في التاريخ** ... ،المرجع السابق ،ص 345 .

الفصل الثالث

طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية ودورليون في رسمها

الفصل الثالث : طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية ودور ليون روش في رسمها

(1842 – 1847م)

بعد احتلال مدينة الجزائر ،ثم مدينة وهران ،لجأ بعض أعيان الجزائر إلى سلطان المغرب لمواجهة الاحتلال الفرنسي ،وانجر عن ذلك تدخل مغربي زاد من أوضاع الجزائريين خلال الفترة الممتدة من ما بين (1830 – 1832م) ،وسيؤسس ذلك لعلاقات مضطربة خلال فترة دولة الأمير عبد القادر وقيادته للمقاومة الوطنية (1832 – 1847م) .

المبحث الأول : طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية (1842 – 1845م)

لكن الملاحظ أن هذه العلاقة كانت تتحكم فيها علاقات فرنسا الدولية ،وفي نفس الوقت كانت فيه نظرة الحكام في العالم الإسلامي قاصرة ومحدودة ،خاصة فيما تعلق بالأطراف المؤثرة في وضع الجزائر ،الباب العالي ،تونس ،المغرب الأقصى ،هذه الأخيرة التي تحفظت في تعاملاتها مع الأمير ،دون فهم أبعاد الصراع الذي كان يخوضه ضد فرنسا ،فعقدت معها فرنسا المساومة ،واتخذت من تلمسان قاعدة لنشر النفوذ المغربي للسلطان عبد الرحمان في الاتجاه الشرقي[1] .

وصلت القوات المغربية إلى تلمسان في 07 نوفمبر 1830م ،واستقرت بقصر الباي قارة سليمان ،بعد أن رحب بهم حضر المدينة ،أما الكورغوليين فأرسلوا هدية عربونا لحسن نيتهم اتجاهه ،إلا أنهم لم ينزلوا من قلعتهم المشور وبقوا متحصنين بها ،وهو ما أثار حفيظة مولاي علي ،أين قام بالاستلاء عليها بالقوة ،كما قام بحملة أخرى ضد قبائل المخزن ،هنا بدأت السلطات الاستعمارية في الجزائر بالضغط على السلطان المغربي بسحب قواته من تلمسان [2]،فوجهت فرنسا سفينتين حربيتين للتهديد إلى طنجة فيَ 18 نوفمبر 1831م ،وهو ما أدى إلى سحب القوات المغربية من الأراضي الجزائرية ،وذلك في 22 مارس 1832م ،ومن هذا التاريخ سيقتصر نشاط السلطان على المساعدة المادية فقط ،خصوصا السلاح إضافة إلى الدعم المعنوي الذي كان يقدمه للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ،والذي فيما بعد أصبح يحسب حسابا دقيقا لما يقدمه من التأييد والعون مراعاة للجانب الفرنسي[3] .

عقب مبايعة الأمير عبد القادر في 21 نوفمبر 1832م ،أخذ يبحث على جميع الأطراف التي يمكن أن تمده بالمؤونة لدعم المقاومة ،فاتصاله بحكام البلاد الإسلامية والأوربية ،كانت تهدف منذ البداية إلى إعطاء دولته بعدا سياسيا ، أساسه المصلحة المشتركة ،وقوامه المنافع التجارية

---

[1] الزهرة بقبق :**الأمير عبد القادر في الأسر (1849 – 1852م)** ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير ،جامعة وهران ،2009 / 2010م،ص 37 .

[2] فارس العيد :المرجع السابق ،ص 19 .

[3] الزهرةبقبق : المرجع السابق ،ص 42 .

بالأعراف الدولية . وعليه حاول الأمير نسج علاقات جيدة مع المغرب الأقصى ،حتى يكون القاعدة الخلفية التي تدعم المقاومة الوطنية ،وفي نفس الوقت كان المغرب الأقصى يتوجس من السياسة التوسعية الفرنسية ،وعليه نجد أن المقاومة الوطنية لقيت الدعم من قبل المغرب الأقصى ،فكانت أهم المساعدات التي قدمها المغرب في هذا المجال تلك المساعدات التي بعث بها السلطان عبد الرحمان إلى الأمير بعد مبايعته ،ووصلت الأمير مساعدات من ملك المغرب في سنة 1833م ،تضمنت 100 بندقية ،ومثل عددها من السيوف ،وكميات من الذخيرة[1] .

ولقد أدى التاجر المغربي الطيب بن جلول دورا كبيرا في تزويد الأمير بالأسلحة ،حيث ذكر الضابط دوماس بأن هذا التاجر زود الأمير ب 400 بارودة انجليزية ،و 200بشطولة و 300 سيف ،و20 حمولة من الكبريت و 15 اخرى من ملح البارود[2] ،كما كان للأمير ممثل خاص في اسبانيا ،وهو نويل مانوتشي [3] ،الذي ساهم في التعاملات الخارجية للأمير عبد القادر ،وكان له دور في تزويد الأمير بالأسلحة والذخيرة كان يشتريها من الموانئ الاسبانية ،ويبعثها للأمير عبر المغرب الأقصى ،ونجد كذلك أنه في 04جويلية1838م وصلت إلى تاقدامت قافلة تضم 100 برميل من الذخيرة من طرف هذا الأخير ،كما تلقى الأمير في 1841م شحنة أسلحة من المغرب ،تقدر بنحو 1000 بندقية وبعض الحمولات من البارود ،كما كان الأمير يحصل على الأسلحة عن طريق الشراء والتهريب ،فقد كان يشتري الأسلحة من المغرب الأقصى التي كانت تأتي خصوصا من جبل طارق وتمر عبر الحدود بمساعدة السلطات المغربية أو بتواطئها قبل أن تتوتر العلاقة بينهما[4].

---

[1] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري :المرجع السابق ،ص 165 .

[2] Y George :op.cit. ;p 130 .

[3] ابن قنصل إيطاليا في بنزرت التونسية ،لعب دور كبير في تنظيم اتصالات الأمير عبد القادر مع السلطات الانجليزية في جبل طارق وإسبانيا ،ينظر ، فارس العيد :المرجع سابق ،هامش ص 24 .

[4] فارس العيد :المرجع السابق ،ص 25 .

إلا أنه وبعد سقوط العاصمة الزمالة سنة 1843م واستسلام العديد من القبائل التي كانت تسانده ضد القوات الفرنسية ،وبالنظر إلى ضعف إمكانية الحصول على السلاح والذخيرة الحربية التي أصبحت محدودة ،وبانقطاع طرق التموين سواء داخليا ،أو خارجيا ،ولحرص منه على إيجاد بديل من الجزائر يناصره في إجراءاته ،فاختار المغرب الأقصى لتكون كقاعدة خلفية له ،لأنه أيقن ضرورة الابتعاد مؤقتا بدائرته عن الجزائر ،ونقلها إلى مكان آمن بالمغرب ،واستند في اتخاذ هذا القرار إلى[1] :

ـ استسلام القبائل التي كان يعتمد عليها في طرق تموينه ومساندته لتعاملها مع الفرنسيين واستسلامهم .

ـ بعد الدائرة عن مسرح الأحداث ستزيد من حرية تحركاته ،ويمكنه كذلك من إعادة تنظيم قواته ،ويعطي بذلك نفسا قويا وجديدا للمقاومة .

ـ محاولة شغل الجيوش الفرنسية من جهته لتخفيف الضغط على خلفائه في الداخل .

ولذلك اختار الحدود الجزائرية المغربية ،وتمركز مع دائرته وجنده في الشط الغربي على بعد 80 كم جنوب شرق وجدة سنة 1843م [2].

وأثناء وجوده في قاعدته الخلفية بالمغرب ،اصطدم بمطامع ومطامح السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان ،لأنه كان يرغب في التوسع على حساب التراب الجزائري منذ العهد المريني ،واشتد الصراع خلال العهد العثماني ،ومما زاد في توسيع الهوة بين البلدين الشقيقين ،هو التدخل الفرنسي

[1] الزهرة بقبق : المرجع السابق ،ص ص43 – 45 .

[2] بسام العسلي : **الأمير عبد القادر الجزائري (1807–1883م)** ،ط 3 ،دار النفائس ،بيروت ،1986م ،ص 146.

في المغرب الأقصى بقصف كل من طنجة والصويرة ،والتي نتج عنهما معاهدة طنجة 1844م، ومعاهدة لالا مغنية[1] 1845م[2].

لما لم يرتح الفرنسيون لوجود الأمير عبد القادر في البلاد المغربية ،اتخذ بيجو بموافقة وزيري الخارجية والحربية ،احتياطات على الحدود الجزائرية المغربية ،كما أنشأت ثلاث مراكز عسكرية جديدة لاستعمالها عند الضرورة القصوى ،كقواعد للانطلاق نحو محاربة الأمير في الأراضي المغربية والسلطان عبد الرحمان معا ،وهما : اثنين جنوب غربي تلمسان في سبدو وسعيدة ، والأخرى غرب تلمسان على بعد 25 كم شرقي وجدة أي في لالا مغنية[3] .

أين قام الفرنسيين بحفر الخنادق في هذه المنطقة التي تعتبر مقدسة عند المغاربة ،وهذا ما أثار حفيظة السلطان المغربي ،أين وجه إنذارا إلى لاموريسيار بإخلاء مواقعه من لالا مغنية ،ولكن هذا الإنذار لم يجدي نفعا ،ودخل الفرنسيون حتى منطقة ايسلي للبحث عن الأمير ،وفي 14 أوت 1844م ،دارت بين الجيوش المغربية والفرنسية معركة ايسلي [4]،بحيث استعد لها السلطان بحشد جنوده فشكل حوالي 30 ألف فارس ،دعم بها ابنه مُحَمَّد ،وفي هذه الأثناء كان الأمير عبد القادر في هذه الناحية ب 500 فارس فقط [5] ،وانهزم في هذه المعركة جيش الخليفة مُحَمَّد ابن السلطان ،والتي سبق أن قدم له الأمير نصائح ولكنه لم يأخذها بعين الاعتبار ،كما تزامنت هذه المعركة بقصف كل من موغادور وطنجة ولمدة 09 ساعات من الثامنة صباحا وحتى الساعة الخامسة

---

[1] هي امرأة مرابطة اشتهرت بورعها وتقواها .ينظر : بسام العسلي : المرجع السابق ،ص146 .

[2] Roches : op.cit. ;pp 461 – 462 .

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 47 .

[4] ينبع هذا الوادي من مرتفعات الأطلس التلي ،ويتجه بسرعة نحو الجنوب الغربي باتجاه البحر ،يخترق مجراه المتعرج جبالا وعرة وأودية عميقة ،وتكثر حوله الأشجار والأغطية النباتية . ينظر : الزهرة بقبق : المرجع السابق ،هامش ص47 .

[5] هناك اختلافات كثيرة حول إحصائيات الجيوش في هذه المعركة .ينظر : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي :**الاستقصاء لأخبار المغرب الاقصى – الدولة العلوية** –،ج 09 ،تح تع : ابني المؤلف جعفر ومُحَمَّد الناصري ،الدار البيضاء ،1956م ،ص ص50 – 56 .

مساءا ،خاصة وأن مدينة موغادور كانت تمثل خزينة لثروة الملك الذي يمتلك فيها تقريبا جميع الأراضي ،وتم قصفها في 15 أوت ،أما طنجة في 06 أوت ،ووضعت حامية فرنسية في موغادور تتكون من 500 مقاتل ،وكان الهدف من القصف هو إجبار السلطان عبد الرحمان لمنعه عن مساندة الأمير عبد القادر[1] .

وكللت هذه الأحداث بمعاهدة طنجة في 10 سبتمبر 1844م ،وذلك بعد التدخل الرسمي للمبعوث الدبلوماسي الانجليزي دورموندهاي الذي أقنع المغاربة بأنه لا يجب انتظار أي مساعدة أوربية ،وخوفا منه من ضعف الحكومة أمام فرنسا ،ومعرفته بأن عدم الرضوخ لفرنسا سيجعل من الحرب تطول أكثر ،فعمد السلطان إلى قطع المؤونة عن الأمير عبد القادر .

دخلت المعاهدة حيز التنفيذ في 26 اكتوبر 1844م ،والتي تتكون من 08 مواد ،وقد تعرضت بصورة جدية لمصير الأمير وحاشيته ،وكذا لمصير المقاومة الجزائرية الشعبية في حد ذاتها وتنص بنود المعاهدة على :

ـ منع المساعدات عن الأمير عبد القادر .

ـ اعتبار الأمير عبد القادر خارجا عن القانون أينما وجد ،ووجوب مطاردته من قبل السلطتين الفرنسية والمغربية من الأراضي الجزائرية والمغربية ،إلى أن يطرد من البلدين أو يلقى عليه القبض ويسجن في إحدى المدن الساحلية المغربية على المحيط الأطلسي ،إذا ألقي عليه القبض من السلطة المغربية ،أو يحترم ويعامل معاملة حسنة إذا ألقي عليه القبض من طرف السلطة الفرنسية .

وفي 18 مارس 1845م ،تم توقيع الطرفان معاهدة أخرى هي معاهدة لالا مغنية ،نظرا لبقاء العديد من القضايا عالقة بين الطرفين الفرنسي والمغربي ،هذه المعاهدة شارك فيها ليون روش من أجل تسطير الحدود الجزائرية المغربية بناء على الوثائق العثمانية ،مع بقاء شروط المعاهدة السابقة قائمة في مواجهة الأمير عبد القادر ومطاردته[2] .

---

[1] الزهرة قبقب : المرجع السابق ،ص 48 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 47 .

المبحث الثاني : دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية(1845 – 1847م)

لما لم يستطع الفرنسيون القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ،لأن هذا الأخير كان يلج أ إلى الأراضي المغربية ،عمل الفرنسيون على تأمين القوات المغربية إلى جانبهم ،وهذا بمقتضى معاهدة طنجة سبتمبر 1844 م ،وبهذا يكون الفرنسيون قد ضمنوا إلى جانبهم عداء سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان[1] ،للأمير عبد القادر وبهذا يحاصر الأمير داخل التراب المغربي .

في ظل هذه الظروف كان كل من الجنرال دي لاري والرائد مارتمبري يعملان على تسطير الحدود الجزائرية المغربية ،وهذا بناء على الوثائق العثمانية ولتكتمل فصول هذه العملية ، اختير ليون روش للدخول في محادثات مع سيدي حميدة بن علي ،وسيدي حمد بن الحضير وهما ممثلي السلطان في مدينة وجدة ،حيث تم تكليف ليون بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة ،حتى أنه استطاع إقناع ممثلي السلطان بحتمية وضع الحدود الجزائرية المغربية ،وهذا وفقا للوثائق العثمانية لكي يكون هناك سلم بين فرنسا والمغرب[2] .

بعدها وقع الجنرال دي لاري وممثلو السلطان وهذا بعد مفاوضات عديدة على مشروعي المعاهدة في 18 مارس 1845 م في مركز لالا مغنية ،وعرفت هذه المعاهدة باسم معاهدة لالا مغنية ،علما أن الجنرال دي لاري هو من قام بتحرير المشروعين ،وقد نص المشروع الأول على موافقة السلطان المغربي على تسطير الحدود الجزائرية المغربية ،وهذا طبقا للوثائق العثمانية ،والاعتراف بسلطة فرنسا وحقها في متابعة القبائل الجزائرية الخارجة عليها داخل التراب المغربي ،أما المشروع الثاني فنص على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب[3] .

---

[1] ولد في 28 نوفمبر 1790م ،ويعتبر ثالث حكام الدولة العلوية في المغرب الأقصى ،واستمر حكمه من سنة1822م إلى غاية وفاته في 24 أوت 1859م . ينظر :فارس العيد : المرجع السابق ،هامش ص 16 .

[2] Roches : op.cit. ; pp 461 – 462 .

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 47 .

في هذه الفترة سافر ليون روش إلى باريس وذلك ليحصل على موافقة لويس فليب على بنود المعاهدة لكن السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان رفض المصادقة عليها ،لأنه كان يرى فيها اهانة لكرامته وفيها تهديد لمصالحه الاقتصادية ،كما أنه اعتبرها مخالفة للشريعة الإسلامية[1] .

أما الجنرال دي لاري كان في الجزائر ينتظر عودة ليون ،وما إن علم برفض سلطان المغرب للمعاهدة حتى أسرع بإرسال ليون اثر عودته من باريس في 12 ماي 1845 م إلى طنجة لبحث المسألة عن قريب مع المسؤولين المغاربة ،كما أنه طلب منهم إرسال سفارة إلى باريس للتعرف على وجهة نظر الحكومة الفرنسية ،وبدأ ليون ينظم اتصالاته في طنجة ليكشف الأسباب الحقيقية التي دفعت سلطان المغرب إلى رفض المصادقة على مشروعي المعاهدة ،واستعان في ذلك بخبرة السيد جياكوموديمارتينو قنصل نابولي في طنجة[2] .

وجاء في رسالة ليون إلى الجنرال دي لاري بتاريخ 17 ماي 1845 م ،أن المانع الوحيد الذي أدى بسلطان المغرب إلى رفض المصادقة على المعاهدة هو مشروع الاتفاقية التجارية ،لأن موافقة مولاي عبد الرحمان على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب سوف يؤدي إلى فتح نفس الطريق بينه وبين إسبانيا وانجلترا فتغرق بذلك السوق المغربية بالسلع الانجليزية دون أن تدفع هذه حقوق تجارتها[3] .

كما أن ليون روش كان يعلم أن الهدف الأساسي للعسكريين الفرنسيين هو القضاء على الأمير عبد القادر ،فاقترح على الجنرال دي لاري بث دعاية مفادها أن الملك الفرنسي وقع فقط

---

[1] قال روش أن سبب رفض السلطان المغربي للمصادقة على معاهدة لالا مغنية ،يرجع إلى تدخلات القنصل الانجليزي في طنجة حيث أن هذا الأخير كان يرى في الاتفاقية المساس بمصالح بلاده كما أنه يقول أيضا أن سلطان المغرب رضخ لاحتجاجات الأمير عبد القادر بواسطة أصدقائه في بلاط فاس وباسم القبائل المغربة . ينظر :

Roches : op.cit. ; 461 – 462 .

[2] Feraud : op.cit. ; 240 – 243 .

[3] يوسف مناصرية ،المرجع السابق ،ص 48 .

على مشروع مسألة الحدود ،ورفض المصادقة على مشروع الاتفاقية التجارية إلى أن يتم مراجعة بنود المعاهدة[1] .

وكانت الخطة التي اخترعها روش لكسب مصادقة السلطان المغربي على مشروع وضع الحدود الجزائرية المغربية وإجباره على تنفيذ ما تعهدوا به لفرنسا ضد الأمير ،وقبائل المغرب الريفية ،وبعد موافقة الجنرال دي لاري على هذا الاقتراح ،أرسل ليون توقيعه على نص الخطة اعتمد على أسلوبه الخاص في محادثاته مع السيد أبي سلهام بن علي ،مفوض السلطان في طنجة علما أن ليون روش كان يفاوضه باسمه الخاص الشخصي ،حتى في حالة ما إذا تضاربت آرائه مع آراء حكومته ،بحيث تسهل على هذه الأخيرة أن تحمله المسؤولية ،ولا يكلفها ذلك سوى تعيين ممثل لها بدله ،لكن فيما بعد اضطربت الأحوال بين ليون وأبي سلهام حين تصل روش رسالة من مُحَمَّد بن ادريس وزير السلطان موجهة إلى الجنرال دي لاري ينقل له خبر مصادقة السلطان على مسألة الحدود ولكن ليون كان ينتظر الرد عن طريق أبي سلهام ،في حين تصل هذا الأخير أوامر من السلطان بإعادة تحرير نص المعاهدة [2] ،ليعود بعدها ليون ويستخدم الحيلة والذكاء حيث أخذ المبادرة في التوقيع على رسالة للسلطان جاء فيها : إن سلطان المغرب يعترف ببنود معاهدة لالا مغنية الخاصة بمسألة الحدود وفقا للوثائق العثمانية ،ويوافق على عدم فعالية الاتفاقية التجارية إلى أن تفتح المفاوضات من جديد بينه وبين الملك الفرنسي[3] .

وقد كان قصد ليون من توقيعه شخصيا على نص الرسالة ،هو ترك باب المفاوضات أمام الجنرال دي لاري وذلك في حالة رفض السلطان المصادقة على مطالبه ،وجاء في رسالة إلى الجنرال دي لاري بتاريخ 20 جوان 1845 م ،أن مولاي عبد الرحمان قد صادق على نص رسالته بما فيه

---

[1] Roches : op.cit. ;pp 469 – 467 .

[2] Ibid. : pp 467 – 470 .

[3] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 49 .

البند الثالث والرابع والخامس من معاهدة لالا مغنية ،والتي تنص على اعتراف المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر ،وحق متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي[1] .

من هنا نقول أن الدبلوماسية الفرنسية انتصرت في الأخير على حساب قلة خبرة رجال مولاي عبد الرحمان ،أو حكومة المغرب بالشؤون السياسية ،وإلا كيف نفسر مصادقة السلطان أو ممثليه على نص رسالة حررها مجرد ممثل بسيط وكان من المعقول مطالبة سلطان المغرب بنص المعاهدة الأصلي الذي يحمل توقيع الملك الفرنسي على مشروع مسألة الحدود ،وتأجيله لمشروع الاتفاقية التجارية المزعوم ،والشيء الملاحظ على موقف سلطان المغرب هو أنه رفض التوقيع في البداية تحت ضغط الإنجليز والإسبان الذين رأوا في الاتفاقية التجارية المساس بمصالحهم الاقتصادية ،وحتى السياسية ،وربما كانوا قد اقترحوا عليه التوقيع فقط على مشروع مسالة الحدود وهو الأمر الذي أدى إلى المصادقة عليه دون مناقشة ،بعدها عاد ليون إلى الجزائر ليبلغ بانتصاراته المتكررة مرتبة كبيرة في نفوس العسكريين الفرنسيين ،حتى أشاد به كل من دي لاري والمارشال بيجو لدى السيد جيزو،وزير الخارجية الفرنسية آنذاك[2] .

حيث أن ليون لما وصل إلى مدينة الجزائر قادما من طنجة على متن باخرة تيتان صحبة الجنرال دي لاري بتاريخ 05جويلية1845 م ،أوفده هذا الأخير في نفس اليوم إلى باريس حاملا نص معاهدة لالا مغنية التي صادق عليها مولاي عبد الرحمان ،وبقي دي لاري في الجزائر ينتظر لإتمام المهمة التي كلف بها في طنجة ،حتى ان بيجو طلب من جيزو تعيين روش في منصب قنصل فرنسا في طنجة[3] .

---

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 49 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص49 – 50 .

[3] Faucon : op.cit. ; pp 525 – 526 .

وينظر أيضا : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص49 – 50 .

كما أن العلاقات والمحادثات استمرت بين الفرنسيين والمغربيين حيث أرسلت الحكومة الفرنسية ليون روش مرة ثانية إلى طنجة في شهر أوت 1845 م الموافق ل 1261 هـ من أجل تكوين سفارة مغربية توفد إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات بين فرنسا والمغرب[1] .

أما السلطان المغربي فأرسل أحد أبناء عمومته المدعو سيدي مُحَمَّد بن سلطان سرور ،إلى الجزائر أواخر شهر أوت من نفس السنة ليشرح للمارشال بيجو مواقف المغرب الودية اتجاه سياسة الحكومة الفرنسية ،ويعمل على إقامة السلم على الحدود الجزائرية المغربية[2] .

في هذا الوقت كان الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال لاموريسيار بعد أن غادر المارشال بيجو الجزائر في 04 سبتمبر 1845 م ،إلى فرنسا بطلب من وزير الحربية ليبحث معه شؤون الجزائر ،وقام الأمير عبد القادر بمباغتة لامورسيار وجيشه في إقليم وهران،وقد كانت هجومات عنيفة في خريف سنة 1845 م ،حتى أنه تمكن من القضاء على فرقة الكولونيل مونتنياك [3] وقتل هذا الأخير في معركة سيدي ابراهيم في 23 سبتمبر ،وأسر الملازم الأول مارين على رأس فرقة متكونة من 100 جندي فارتفعت معنويات المسلمين الجزائريين من جديد ،وقامت بوادر ثورات على الفرنسيين في بعض أنحاء البلاد[4] .

عندها تخوفت الحكومة الفرنسية من أثار هذه الأحداث وأمرت المارشال بيجو بالعودة إلى الجزائر لتنظيم شؤون البلاد ،عندها كان الجنرال لاموريسيار قد قرر متابعة الأمير عبد القادر داخل التراب المغربي والوصول إلى مدينة ملوية للقضاء على دائرته ومعاقبة القبائل المغربية التي تسانده

---

[1] المرجع السابق : ص 50 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ، ص 50 .

[3] لوسيان فرنسوا مونتياك ولد سنة 1803م ،وتوفي سنة 1845م في بلدة بورو ،دخل الكلية الحربية في سانسير ليتخرج منها سنة 1841م برتبة ملازم ،والتحق بفرقة المشاة ،حارب سنة 1823م في اسبانيا ورقي إلى رتبة ملازم أول سنة 1836م ،أرسل إلى إفريقيا سنة1837م لقيادة الكتيبة رقم 61 ،ينظر الزهرة بقبق : المرجع السابق ،ص 25 .

[4] يوسف مناصرية :المرجع السابق ،ص 50 .

.وتعدى الحدود وأصبح هذا القرار رسمي عندما كاتبت الحكومة الفرنسية قنصلها في طنجة ،السيد دي شاستو وتأمره بأخذ قرار متابعة الأمير عبد القادر داخل المغرب لكن المارشال سولت ،وزير الحربية استفاد هو الآخر من نصائح روش و دي شاستو،اللذين حذراه من خطورة الموقف فأمر المارشال بيجو بالتوقف بقواته في مدينة ملوية والرجوع إلى التراب الجزائري بعد القضاء على دائرة الأمير[1] .

وقد كان لنصائح ليون الأثر الكبير على سياسة فرنسا الخارجية اتجاه المغرب ،ومنها أن ليون كان يرى في تدخل فرنسا عسكريا في التراب المغربي فرصة سوف يغتنمها الأمير ،وذلك ليكون مملكة مستقلة في وجه فرنسا وسلطان المغرب معا ،لذلك كان روش يفضل مواجهة الموقف سلميا واستعمال الأسلوب الدبلوماسي مع مولاي عبد الرحمان ،ونظرا لسوء الأحوال في موقف فرنسا تم تقرير إيفاد ليون روش مرة أخرى إلى طنجة وذلك في شهر نوفمبر 1845 م ،حيث حمل معه شروطا جديدة لسلطان المغرب ومن أهمها ،أن يرسل مولاي عبد الرحمان فرقة من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة أحد أمراءه من أقاربه ،ليخضع قبائل الريف وان يتم تعيين القائد ابن عبو على قبائل الريف وأن يتم كذلك إرسال سفارة مغربية إلى باريس لبحث العلاقات الفرنسية المغربية، كما أن روش أضاف إلى هذه الشروط مطلبا ،مفاده أن السلطان يتعهد بالبقاء في مدينة الرباط حتى إيجاد حل نهائي للأزمة القائمة ،نظرا لأن السلطان مولاي عبد الرحمان لما تلقى أخبار معارك الغزوات ما بين الأمير والجيش الفرنسي قرر الخروج من الرباط والاستقرار في مدينة مراكش التي كان يطلق الفرنسيون عليها اسم المروك(Maroc)،وذلك لتفادي مضايقة الفرنسيين له[2] .

لما وصل ليون إلى طنجة وتقابل مع السيد دي شاستو ،سلم له رسالة إلى مُحَمَّد بن دريس ،وزير السلطان يطلب منه استقبال ليون ومساعدته في مهمته لدى السلطان وقبول شروط فرنسا،

---

[1] المرجع السابق ، ص 51 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص50 – 51 .

كما ساعده أيضا قنصل انجلترا في طنجة ،السيد جون دريمويدهاي برسالة إلى بن دريس يطلب منه استقبال ليون ويترجاه انصاف مطالب فرنسا العادلة[1] .

وعندما وصل ليون إلى مدينة الرباط على متن الباخرة ميتور استقبله بن دريس بحفاوة وإكرام، وعرض عليه ليون مطالب فرنسا المذكورة آنفا ،كما حدث روش بن دريس عن إشاعة أخبار حول عدم إبلاغ رسائل الحكومة الفرنسية للسلطان وأنه أتى ليتأكد من ذلك ولينال موافقة السلطان عن مطالب بلاده واعطاء الشروط مكتوبة .

ونحن نقول أن هذا الكلام من قبل ليون كان افتراء وكذب وتلك هي دبلوماسية روش لمخادعة بن دريس ويبرر مجيئه إلى الرباط مع العلم أنه هو الذي قام بتوقيع الرسائل باسم السلطان المغربي وهو الذي لم يحصل على توقيع لويس فليب على رسائل نص المعاهدة وغيرها واستعمل كل هذه المعطيات ضد بن دريس ،وليرفع روش من شأن فرنسا في نظر بن دريس عمل ليون على إضعاف قيمة انجلترا مع أن سفير هذه الأخيرة قدم المساعدة لروش ،ونحن نستغرب هذا الموقف وربما يكون من ورائه مصلحة معينة ،وقد قال لبن دريس وهو يسلم له رسالة القنصل هاي أن فرنسا تربطها علاقات قديمة مع المغرب ، وما رسالة القنصل الانجليزي إلا أمانة فقط وليست وساطة سياسية[2].

وهو من هذا الكلام يريد القول أن فرنسا دولة قوية مثل انجلترا ولديهما علاقات وثيقة ،وتربطهما المصالح المشتركة وبهذه الدبلوماسية استطاع ليون أن يمحو التفوق الانجليزي الذي يشعر

---

[1] خلف والده في منصب قنصل انجلترا في المغرب في شهر افريل 1845م ،وكانت الأوامر التي كلفته بها حكومته ووقع عليها اللورد ' ابير دين ' وهي مساعدة وجهة النظر الفرنسية ،وجاء في رسالة هاي لبن ادريس العبارة التالية : " الحقيقة أن الفرنسيين لهم الحق الكامل في استعمال القوة الخاصة بهم لمطاردة عدو يهددهم ويخيفهم بدون انقطاع ،وقد لجأ هذا العدو إلى بلد جار وصديق " . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،هامش ص 79 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 52 .

به المغاربة من جهة ،ومن جهة أخرى تنبيه بن دريس أن انجلترا ليس لديها موقف معادي من مطالب فرنسا بل تباركها[1] .

ونظرا لما قاله روش لبن دريس سابقا حول الشكوك التي تقول أن رسائل الحكومة الفرنسية لم تبلغ السلطان ،وقام بن دريس بإزالة شكوك ليون في عدم إبلاغ السلطان مطالب السلطة الفرنسية ، فأحضر له في اليوم التالي توقيع مولاي عبد الرحمان على المطالب التي قدمها له روش، وما إن استلم روش المصادقة حتى طلب من بن دريس أن يلتمس له مقابلة السلطان ليتمكن بذلك من مواجهة الرأي العام الفرنسي ،الذي يقول أنه أصر على اتهام السلطان بمخادعة الحكومة الفرنسية ،فأقنع بن دريس السلطان باستقبال ليون روش في 21 نوفمبر 1845 م ،ولما دخل ليون على السلطان بادره بقوله أن الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها، لأن هذه الأخيرة قادرة على أن تمنعه من دخول الجزائر ،وأنها أتت الآن لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العدو المشترك وتعمل معه على إخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير ، بعدها قال ليون أنه يجب تدعيم المحبة بين فرنسا والمغرب ،وان ذلك لا يكون إلا إذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبر عن حسن نيته وإرادته لتقتنع فرنسا بأن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وأن كل شيء يسير بأمره[2] .

هنا وقع مولاي عبد الرحمان في فخ ليون روش وذلك لكي لا يجد مبررا للهروب إلى الأمان ويتجنب تنفيذ وعوده ،وتعهد لروش بالعمل مع فرنسا لإقامة السلم وإرسال جيش ضد الأمير عبد القادر وإضعاف قوته ،كما وافق على تعيين ابن عبو باشا طنجة على إقليم الريف وذلك لما فيه

[1] المرجع السابق : ص 52 .

[2] تقرير روش إلدي شاستو بتاريخ 05 سبتمبر 1845م . ينظر :

Faucon : op.cit. ;pp 526 – 527 .

من قدرة على تحمل المسؤولية حسب قول روش ليون [1] ،كما سلم لروش رسائل موجهة إلى كل من الملك لويس فليب والمارشال بيجو ،ودي شاستو وممثل عرشه في طنجة السيد أبي سلهام يخبره فيها بالإجراءات التي اتخذها ،ومما سبق نستنتج أن مولاي عبد الرحمان قد قدر فعلا قوة فرنسا خاصة منذ قنبلة قوتها مدينتي طنجة والصويرة سنة 1844 م ،دون أن يكون هناك رد فعل من انجلترا كما كان شعوره بالضعف من الداخل سببا في سرعة مصادقته على شروط الحكومة الفرنسية والموافقة على كل ما جاء به روش دون أن ننسى الدور الدبلوماسي الكبير الذي قام به ليون روش مع استعمال الخداع والحيلة ،والوصول إلى هذه النتيجة ،وبعد أن عاد روش إلى مدينة طنجة في أواخر شهر نوفمبر 1845 م ،كان يعمل على كسب عطف المغاربة اتجاه فرنسا ليأتي رسول الوزير ابن دريس ،وهو سي مُحَمَّد بن سليمان يخبره أن قبائل بني يزناسن قد رفضت الجهاد تحت أي لواء بدون أمر من السلطان مولاي عبد الرحمان وهذا ما يؤكد اخلاص حكومة المغرب في تنفيذ تعهداتها لفرنسا[2] .

زيادة على سذاجة العرب وتصديقهم لكل ما يقال لهم ،هنا استعمل ليون أسلوبا آخر متعود عليه منذ أيام اقامته مع الأمير ورحلته الى المشرق (الحجاز) ،وقصة الفتوى ،وهو استعمال النقود لرشوة الناس وشراء الذمم ،مثل ما فعل مع سي مُحَمَّد بن سليمان حين وضع في يديه عددا من النقود الذهبية مخبرا اياه أنها مكافئة له وأن كل واحد يعطي حسب مقدرته وأنه بعيد أن يعطي

[1] سلم مولاي عبد الرحمان قيادة نصف جيشه إلى ابن عمه مولاي ابراهيم بن عبد المالك ،وأمره بالتوجه إلى شرق البلاد لمساعدة الطالب بن حميدة والشيخ أبو زيان الشاوي الفتاوي ،ضد الأمير عبد القادر ،فخرج الجيش من مدينة فاس في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1845م ،ودخل في معركة ضد الأمير عبد القادر سنة 1846م ،وسنة 1847م على رأس جيش من ألف فارس . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص79 – 80 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص ص53 – 54 .

الكثير ،وأن الحكومة الفرنسية سوف تقدم لوزير بن دريس مكافأة كبيرة تناسب مقامه واعترافا منها لمساعدته روش في أداء مهمته[1] .

وهذا هو أسلوب روش الذي كان يقصد من ورائه رشوة رجال الحكومة المغربية تحت غطاء الهدايا والمكافئات ،ونستنتج من عبارة وأنا بعيد على أن أعطي الكثير أنه يرمي إلى أن الحكومة الفرنسية قادرة على أن تقدم للمغاربة أموالا طائلة إذا ما أخلصوا لها المودة والولاء ،وهو أسلوب ستستعمله فرنسا فيما بعد في كل من مصر ومشروع قناة السويس ،ومع تونس وفرض الحماية عليه بداعي أن عليها ديون لم تسددها لفرنسا ،أي أسلوب الغرق في فوائد الديون الذي عانى منه العالم العربي في القرن ال 19 م ،وما زال إلى اليوم وهو نفس الأسلوب الذي كانت تنتهجه فرنسا مع المغرب في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها[2] .

وعندما كان ابن عبو متخوفا من عواقب تعيينه على قبائل الريف فإن ليون روش كان يقوي عزيمته مخبرا اياه أن السلطان ما اختاره إلى هذه المهمة الصعبة إلا ثقة منه في قدرته على قمع الفتن ،كما وعده بأن فرنسا ستساعده عسكريا وتقف إلى جانبه كلما احتاج لها ،ليقدم له وذلك بالاشتراك مع دي شاستو مبلغا ماليا قدره 40دوبلون[3] ،وقد كتب روش إلى الحكومة الفرنسية

---

[1] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 43 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق: ص 53 – 54 .

في رسالة روش إلى بن ادريس في 30 نوفمبر 1845م ،أرسلت الحكومة الفرنسية مبلغ 25920 فرنك إلى بن ادريس ومبلغ 10368 فرنك إلى أبي سلهام بن علي . ينظر :المرجع السابق : هامش ص80 .

[3] هناك ثلاث أنواع من الدوبلان ،واحد يساوي 20 فرنك و38 سنتيما ،والثاني ما بين 71 و 40 فرنك ،والثالث يساوي 51 الى 81 فرنك . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،هامش ص80 .

يقترح عليها تقديم مبلغ 15 او 20 ألف فرنك سنويا إلى ابن عبو لمساعدته على القيام بمصالح فرنسا في المغرب[1] .

ولما علم ليون روش بعزل السلطان لابن حميدة عن ولاية وجدة بطلب من القبائل المغربية استغل ليون هذا الظرف وقام بمراسلة بن دريس في 30 نوفمبر 1845 م ،يطلب منه فيها ضم هذه الولاية (وجدة) إلى قيادة ابن عبو ،كما أنه اقترح على ابن عبو خطة تنظيمية يجب عليه اتباعها وهي أن يعين نائبين له من الأهالي ،الأول يقيم في وجدة والثاني في قصبة سلوان قرب مدينة وليلي وبذلك يسهل عليه التحكم في القبائل كما أشار ليون على ابن عبو أن ينتهج سياسة القوة مع الأهالي هذا من جهة ،وسياسة الخداع من جهة أخرى ،وهذه الأخيرة لا يمكن له أن يطبقها إلا برشوة شيوخ القبائل[2] .

مما تقدم نقول أن هدف ليون من ضم وجدة إلى إقليم الريف وتحت سيادة ابن عبو ،الذي أصبح يعمل تحت اشراف واستشارة روش في كل صغيرة وكبيرة ،هو محاصرة للأمير عبد القادر والقضاء على مصدر قوته التي كان يستمدها من المغرب وهو ولاء القبائل الريفية له ،وهناك رسالة ثانية لبن دريس وهي مؤرخة في شهر نوفمبر أيضا طلب منه روش ارسال قوات مغربية لمساعدة ابن عبو ،وهذا بهدف السيطرة على قبائل الريف وأن عليه عدم النظر إلى التكاليف الباهظة من جراء هذه التجهيزات لأن الحكومة الفرنسية سوف لن تتأخر في تقديم جزء من نفقات تجهيز هذا الجيش لأن اعداده فيه فائدة لفرنسا أيضا[3] .

---

[1] ابن عبو كان رجلا فقيرا ،كثير العيال ،أجره ضئيل لذلك اغتنم نفوذ منصبه ولجأ إلى جمع المال من الأهالي لذلك تحسنت وضعيته المالية في طنجة ،وعندما عين على إقليم الريف ساءت حالته واشتكى ذلك الى قنصل فرنسا في طنجة ،ومنه كان روش مطلعا على كل ذلك ،وساعدته هذه المعلومات على استعمال الرشوة كسلاح ضد هذا النوع من الناس . ينظر : يوسف مناصرية : المرجع السابق ،هامش ص 80 .

[2] المرجع السابق : ص 54 .

[3] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ص 44 .

ويقول ليون في الرسالة أيضا أن السلطان مولاي عبد الرحمان إذا انفرد بالإنفاق لتجهيز هذه القوات فإن أموال خزانته سوف تنفذ ،ثم يختم رسالته بقوله : " **إنني بهذا الاعتبار أعتقد دون أن أمس بكرامتكم ،أن السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا** " ،وكما قلنا سابقا فإن ليون كان يريد الوصول إلى هدف معين من وراء استعمال أساليبه الخبيثة والماكرة ومنها الرشوة ،ومن بين صور أهدافه هو كسب نفوذ جديد لفرنسا في المغرب بواسطة أسلوب الرشوة ،حيث أنه لم يكتفي برشوة الولاة مثل ابن عبو بل إنه وصل إلى درجة محاولة اغراء السلطان المغربي نفسه ،بالأموال الفرنسية وهدفه من هذا هو ربط العلاقات الفرنسية المغربية على المدى القريب والبعيد ،وذلك في اطار خطة مرسومة وواضحة المعالم وهي تبدأ بالقضاء على الأمير عبد القادر أكبر تهديد لفرنسا في المنطقة ،واخضاع قبائل الريف للسلطان واجبارها للتخلي عن الأمير ،ثم بعدها تملك فرنسا شرعية التدخل في المغرب بعد أن يكون المغرب غارقا في الديون التي تصله على شكل رشاوي وبهذا ابتعدت فرنسا عن النفوذ الانجليزي وتكون لها الأسبقية في ربط علاقتها معه وهو هدف ليون روش على المدى البعيد[1] .

وفعلا استطاع ليون روش أن يقنع مولاي عبد الرحمان بإرسال سفير له إلى باريس ،وذلك بغية تباحث مستقبل العلاقات الدبلوماسية الفرنسية المغربية ،واصطحب ليون السفير المغربي الحاج عبد القادر بن مُحَّد اشعاع إلى باريس ما بين 07 و17 ديسمبر 1845 م[2] .

---

[1] المرجع السابق : ص ص 54 - 55 .

[2] سافر القائد اشعاع إلى باريس على رأس الوفد المغربي وهو يحمل رسالة من السلطان إلى الملك الفرنسي ،وبقي الوفد هناك 7 أسابيع تم خلالها غسل أمخاخ الجميع في متاحف باريس وملاهيها وقصورها ،وملذات العيش فيها ،فانبهر اشعاع وصحبه وعاد بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ،وصرح السيد دي شاستو قنصل فرنسا في طنجة قائلا : " لو اني شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا وأرقت دمي لينهل منه فإن ذلك سيكون ضئيلا جدا ... إذا ما أردت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمرني من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم ..." . ينظر : مُحَّد داود : **تاريخ تطوان** ،القسم 03 ،مج 03 ،تطوان ،1962م ،ص ص295 – 296 .

والشيء الذي يجب أن ننوه به للتدليل على خداع ليون روش في تعامله مع المغاربة هو أن فرنسا لم تقدم أية مساعدة مالية للسلطان أثناء المعارك التي دارت ضد الأمير ،وفي الوقت الذي كان ليون يحقق الانتصارات في المغرب باسم الدبلوماسية الفرنسية ،وكان الأمير صديق الأمس ينظم غزوات متتالية في الجزائر مع زحف القبائل المغربية المساندة له نحو الحدود الجزائرية المغربية ،مما أدى إلى اضطراب الأحوال وذلك في منتصف شهر مارس 1846 م الموافق ل 1262 هـ[1] .

ولم يستطع ابن عبو السيطرة على القبائل الريفية ووقع الخلل داخل جيشه ،وذلك بسبب نقص الأسلحة والمؤن ،وازداد أمر ابن عبو ضعفا خاصة بعد الخلافات التي وقعت بينه وبين مولاي ابراهيم قائد جيش السلطان ،وسبب هذا الخلاف هو سخط مرابطي المنطقة الريفية على ابن عبو مما أدى بهذا الأخير للشكوى للقنصل الفرنسي دي شاستو ،حتى السلطان مولاي عبد الرحمان كان متخوفا من تمرد قبائل شرق البلاد ضده ،على اثر هذه المستجدات تم ايفاد ليون روش مرة أخيرة إلى الرباط وكان ذلك في شهر اكتوبر 1846 م ،وهو يحمل مهمة تتمثل في حمل السلطان مولاي عبد الرحمان على أخذ القرار الحاسم ضد القبائل الريفية ليعود السلم للمنطقة[2] .

علما أن فرنسا وضعت ثلث الجيش الفرنسي 110 آلاف رجل تحت تصرف المارشال بيجو للقضاء النهائي على مقاومة الأمير عبد القادر ،كما أن ليون روش عين في السلك الديبلوماسي نهائيا وذلك منذ فيفري 1846م ،وبقي متمسكا برأيه القائل أن دخول فرنسا في حرب ضد القبائل الخارجة على سلطة مولاي عبد الرحمان تمنح الأمير فرصة ليكتل القبائل من حوله ويجابه بها فرنسا والمغرب معا ،فتنتشر الفوضى بعدها في البلاد ويتعسر الأمر بعد ذلك على فرنسا في القضاء على الأمير ،ولكن روش كان يفضل استعمال الطرق السلمية ،وبفضله تم تجنيب فرنسا هذه الحرب ،وجعل سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان يدخلها وحده ،كما عمل ليون قبل أن

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 55 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق : ص ص55 – 56 .

يتوجه إلى الرباط على اغراء القائد أبي سلهام بن علي ليتدخل لدى السلطان ويكسب القضية لصالح فرنسا ،ويحبك خطة لرشوة السلطان أيضا عن طريق أبي سلهام ودخل معه في محادثات سرية باسمه الشخصي وأبعد دي شاستو ،لكي لا يشك مفوض السلطان في مخادعة الفرنسيين وتعتبر المسألة رسمية من طرف الحكومة الفرنسية ونظرا لتغير الأمور آنذاك فان أبي سلهام اصر على كتمان الأمر ،وتعهد أبو سلهام في الأخير أنه سيفاتح السلطان في مسألة تزويده من طرف فرنسا بالمال ،وقال أن أمله كبير في أن تكون النتيجة ايجابية[1] .

لما وصل ليون روش إلى الرباط ،توصل إلى اقناع مولاي عبد الرحمان بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه ،واعتبر مولاي عبد الرحمان أن السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه هو الأمير عبد القادر ،وانتهى إلى ارسال قواته في الأشهر الاخيرة من سنة 1847 م الموافق ل 1263هـ للقضاء على الأمير ،واخضاع القبائل المغربية والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية واجبارها على الرجوع إلى الجزائر ،والخضوع لسيطرة الجنرال لاموريسيار ،وقد تم ذلك فعلا في أواخر شهر ديسمبر 1847 م وانتصر ليون روش في مهمته الدبلوماسية في المغرب[2] .

وقد ساعدته ظروف المسلمين وضعفهم كثيرا في تنفيذ آرائه المغامرة التي بدأها بتحرير شروط المعاهدة وصادق عليها السلطان ،وأنهاها بمحاولة رشوة رجال دولة السلطان وقد توصل إلى ذلك فعلا ،وبكل هذه الانتصارات نجد أنه قد عين (روش) في سلك الدبلوماسية ،إذ عين قنصلا في طنجة سنة 1846 م وشغل نفس المنصب في تونس وطرابلس والنمسا واليابان وانتهى سنة 1870

[1] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 56 . نقلا عن :

Caille : op.cit. ; p p 38 41 .

[2] يوسف مناصرية : المرجع السابق ،ص 56 .

م إلى منصب وزير مفوض تقاعد بعده عن العمل وكانت مهمته القنصلية في البلدان العربية قد تركزت خاصة على التبشير المسيحي[1] .

بهذا تكون فرنسا قد حصلت على انتصارات سياسية وعسكرية أخرى ،وهذا بفضل روش ونشاطاته المتواصلة في مضايقة الأمير والضغط عليه من الجهة الغربية ،خصوصا وأنه كان يعلم أن الأمير يحتاجها لتدعيم جيشه بالأسلحة والذخيرة والمؤونة.

[1] عبد الجليل التميمي : **دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830–1881م** ،**مجلة الأصالة** ،العدد 29 /30 ،(1976م / 1396هـ) ،ص ص49 – 61 .

الخاتمة

الــخاتــمــة :

وما نستخلصه في الأخير بعد اكتمال الدراسة أن :

1) _ وصول ليون روش إلى الجزائر في سنة 1832م ،كان بطلب من والده بغية مساعدته في شؤون مزرعته .

2) _ الهدف من وراء اتقانه اللغة العربية ،أن يسهل عليه الاتصال بالأهالي الجزائريين القائمين على خدمة المزرعة كأجراء .

3) _ استطاع ليون روش في ظرف ثمانية أشهر أن يتقن اللغة العربية بمساعدة أستاذ كان قد تعرف عليه ،ومن خلال احتكاكه بالعامة في المقاهي ،والجلسات القضائية .

4) _ بقدوم اللجنة الإفريقية الأولى إلى الجزائر ،كلف ليون نفسه مهمة الترجمة بين أعضاء اللجنة والحاضرين ،وهذا ما ساعد على تعيينه ترجمانا محلفا للجنة .

5) _ قرر روش اعتناق الإسلام والالتحاق بدولة الأمير بعد اطلاعه على البند الرابع من معاهدة التافنة الذي يسمح للمسلمين العيش أينما أرادوا .

6) _ فما كان من الأمير إلا الترحيب به فرحا بهدايته ،دون التدقيق في هويته .

7) _ باشر ليون مهمته في التجسس بحذر شديد ،في نقل أخبار الأمير سواء ما تعلق بأموره الشخصية ،أخلاقه ،أو سياسته .

8) _ ركز ليون على نقاط القوة في دولة الأمير ،ومنها العاطفة الدينية للمسلمين التي تعتبر مصدر قوتهم وحيويتهم ،بالإضافة إلى نقاط الضعف والتي شملت تعدد الطرق الصوفية واختلافها ،الذي يشتت صف المسلمين الواحد .

09) _ استطاع ليون استخدام الدين الإسلامي أيضا كسلاح لإضعاف قوته ،فكان اقتراحه أن يستصدر فتوى من العلماء المسلمين تحرم القتال ضد فرنسا .

10) _ بمساعدة وفد من شيوخ الطريقة التجانية المتحالفة معه ،نال روش الفتوى من علماء القيروان ،ثم واصل ليون رحلته إلى الحجاز مرورا بالأزهر متنكرا في زي حاج مسلم ،هدفه الحصول من علماء الحرم الموافقة على نص فتوى شرعية ،تجعل من جهاد المسلمين من باب القاء النفس إلى التهلكة .

11) _ تعدت جهود ليون هذا الحد ،إلى التشويش على الأمير في المغرب ،أين كان يمول جيشه منها ،فعاد إلى عملياته الجاسوسية في الجيش المغربي .

12) _ مكنت المعلومات التي جمعها ليون ،من عقد فرنسا مع المغرب معاهدتي طنجة ولالا مغنية ،أين تم بموجبهما منع المساعدات المادية والمعنوية للأمير عبد القادر من المغرب ،وتسطير الحدود الجزائرية المغربية .

13) _ استطاع روش أن يربح معركة أخرى ضد الأمير ،في الجهة الغربية ،مما أدى إلى التضييق عليه أكثر وعلى مقاومته.

الملاحق

الملحق رقم : 01

صورة ليون روش

المصدر : www.elchihabe.com

الملحق رقم : 02

ليون روش في زي عسكري

المصدر : www.elchihabe.com

الملحق رقم : 03

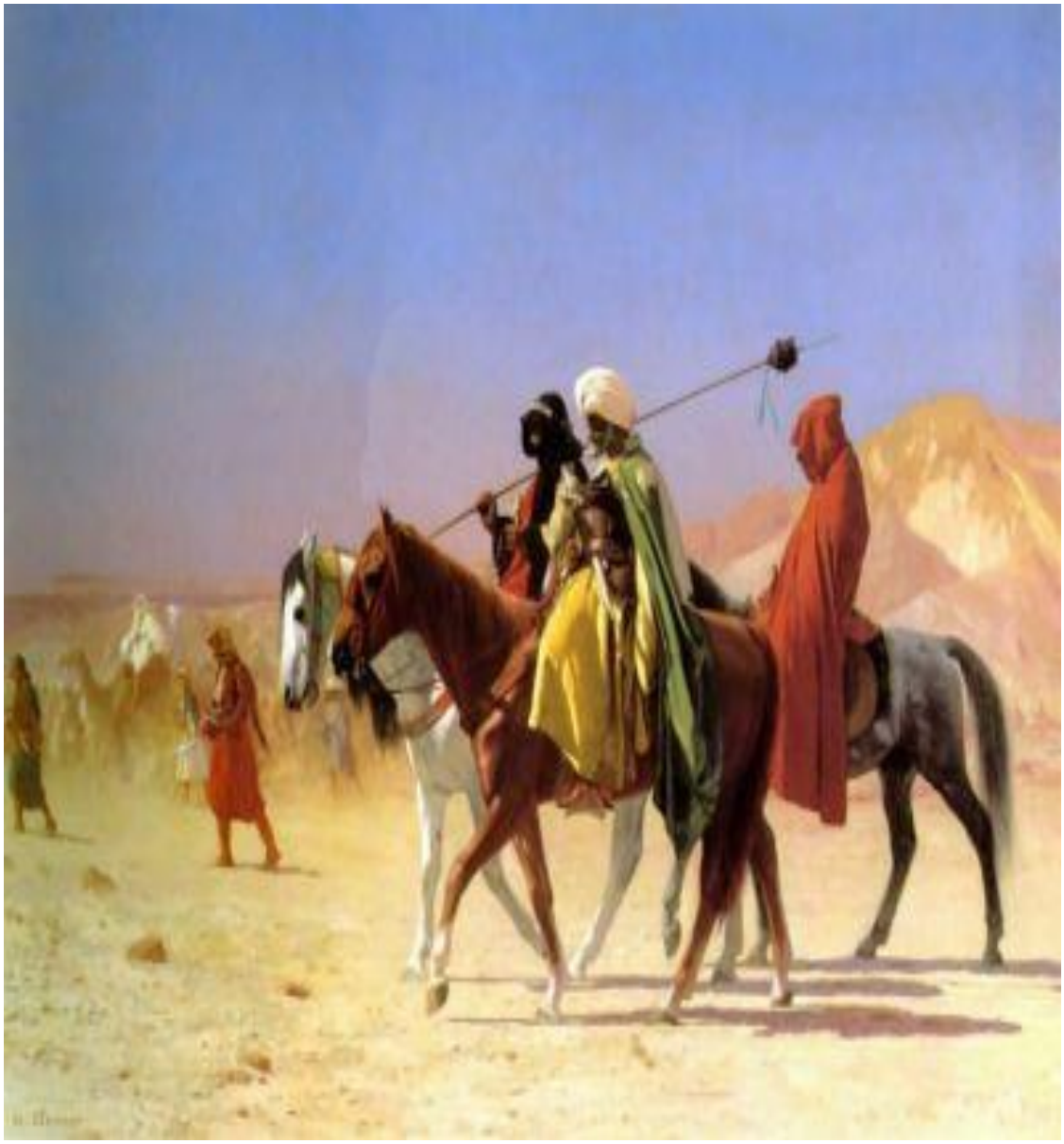

صورة زيتية لرحلة ليون روش الى الحجاز

المصدر : موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم : 04[1]

Accompagnant le Maréchal Clauzel à Médéa, où il sauve le général Gastu, il devint, ensuite, l'ami et le secrétaire de l'Emir Abd-El-Kader, avant de rejoindre l'armée française, où il sera un agent très actif du Maréchal Bugeaud.

LEON ROCHES

Grenoble, 27 septembre 1809 – décembre 1901

Ira à Kairouan, Le Caire et La Mecque pour obtenir une "FETTOUA" (arme à double tranchant) destinée à faciliter la conquête et la pacification de l'Algérie:

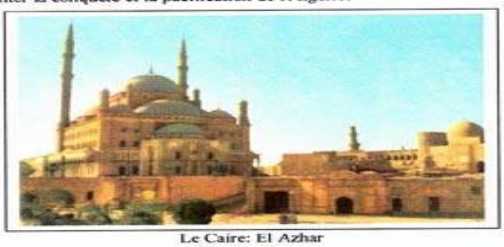

Le Caire: El Azhar

Kairoan

"Quand un peuple musulman, dont le territoire a été envahi par les infidèles, les a combattus aussi longtemps qu'il a pu conserver l'espoir de les en chasser, et, quand il est certain que la continuation de la guerre ne peut amener que misère, ruine et mort pour les musulmans, sans aucune chance de vaincre les infidèles, ce peuple, tout en conservant l'espoir de secouer leur joug avec l'aide de Dieu, peut accepter de vivre sous leur domination à la condition expresse qu'ils conserveront le libre exercice de leur religion et que leurs femmes et leurs filles seront respectées".

La Mecque

صورة تمثل اهم المناطق التي مر عليها ليون روش في رحلته إلى الحجاز مع صورته وصورة الأمير عبد القادر والجنرال كلوزيل والمارشال بيجو ونص الفتوى التي حملها معه .

[1] عبد العزيز جيدل : المرجع السابق ،ملحق ص88 .

الملحق رقم : 05[1]

« Quand un peuple musulman, dont le territoire a été envahi par les infidèles, les a combattus aussi longtemps qu'ila conservé l'espoir de les en chasser, et, quand il est certainque la continuation de la guerre ne peut amener que misère,ruine et mort pour les musulmans, sans aucune chance de vaincre les infidèles, ce peuple, tout en conservant l'espoir desecouer leur joug avec l'aide de Dieu, peut accepter de vivresous leur domination à la condition expresse qu'ils conserverontle libre exercice de leur religion et que leurs femmes et leurs fi lles seront respectée . »

ملخص نص الفتوى التي حملها روش معه الى الحجاز

[1]Leon Roches : op.cit. ;p241 .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر العربية والمعربة :

1) القرآن الكريم : سورة الأعراف ،الآية ،128 .

2) بيرنت يوهان كارل : الأمير عبد القادر ،تر : دودوأبو العيد ،دار هومة ،الجزائر ،2012م .

3) الجزائري مُحَمَّد بن عبد القادر : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ،ج1 ،ط2،المطبعة التجارية ،الاسكندرية،1903م .

4) خوجة حمدان بن عثمان : المرآة ،تعريب : العربي الزبيري ،الجزائر ،1975 م .

5) روش ليون : اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام (مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز) ،تر : مُحَمَّد خير محمود البقاعي ،ط1 ،لبنان ،2011م.

6) الناصري السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى –الدولة العلوية – ،ج 09 ،تح تع : ابني المؤلف جعفر ومُحَمَّد الناصري ،الدار البيضاء ،1956م .

المراجع العربية والمعربة :

1) بوطرفة سعيد :حكم زمني وسلطة روحية ،الأمير عبد القادر ،منشورات كلورسات ،2013م.

2) تشرشل هنري: حياة الأمير عبد القادر ،تر : أبو القاسم سعد الله ،تونس ،1974م .

3) داود مُحَمَّد : تاريخ تطوان ،القسم 03 ،مج 03 ،تطوان ،1962م .

4) سعد الله أبو القاسم : بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،بيروت ،2003م

5) ـــــــــــ: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج 04 – 05 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م .

6) ـــــــــــ : خلاصة تاريخ الجزائر ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،بيروت ،2007م .

7) ـــــــــــ: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998م .

8) ـــــــــــ: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ،ط2 ،القاهرة .

9) العسلي بسام : الامير عبد القادر الجزائري (1807 – 1883م) ،ط 3 ،دار النفائس ،بيروت ،1986م .

10) العقيقينجيب : المستشرقون ،ط 04 ،دار المعارف ،القاهرة ،1980م .

11) مناصرية يوسف : مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 – 1847 م ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1990م .

المصادر والمراجع الأجنبية :

1) Roches Leon : dix ans a travers l'islam ;1834 _ 1844 ;Paris .

2) AbdelkaderHani : correspondances de l'emir Abdelkader 1833/ 1883 ;Dar El Gharb ;2004

3) Caille Jaques : une mission de leon roches 1845 Casablanca ; 1947 ;thèse .

4) Faucon Narcisse : le livre d'or d'Algérie ; 1830 _ 1889 ;Paris .

5) Ideville Henri : Le maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documentsinédits(1784 – 1849), t2 , paris, 1882 .

المقالات العربية :

1) بير بروجر أدريان : رحلة إلى معسكر الأمير في الونوغة والبويرة ،تر : سعد الله أبو القاسم ،مجلة الذاكرة ، ع05 ،الجزائر ،1998م .

2) التميمي عبد الجليل : دور المبشرين في نشر المسيحية ،المجلة التاريخية المغربية ، ع3 ،1975م.

3) العربي اسماعيل :سفارة الميلود بن عراش لدى الملك لويس فليب (خلفياتها ونتائجها) ،مجلة التاريخ ،عدد 6،الجزائر ،جويلية1978م .

المقالات الاجنبية :

1) Arnaud : Siege d'AinMedhi;par el hadj Abdelkader ben Mohiédine ;revue africaine ;N 08 ;1864 .

2) Emrit Mercel : La lutte entre les généraux et les prêtres aux de buts de l'Algériefrançaise;in revue africaine ;N 97 ;1953 .

3) Emrit Marcel : la légende de Leon Roches ; revue africaine ;1947 .

4) Georges yver : Abdelkader et le Maroc en 1838 ,revue africaine ,n 60 , 1919.

5) Masse Henri: lesétudesarabesenAlgérie1830 _ 1930 ; revueafricaine ; 1933.

المذكرات والرسائل الجامعية :

1) بقبق الزهرة : الأمير عبد القادر في الأسر (1849 – 1852م) ،رسالة ماجيستير ،جامعة وهران ،2009 / 2010م .

2) جيدل عبد العزيز : نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن ال 19م ،مذكرة لنيل شهادة الليسانس ،جامعة الجزائر ،2008 – 2009م .

3) حرشوش كريمة : جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832 – 1847م ،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ،جامعة وهران ،د س .

4) زاير عبد القادر : دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832 – 1847م) ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،2009 – 2010م .

5) العيد فارس : علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848 – 1930م) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،جامعة وهران ،2016 – 2017 م

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
قائمة المختصرات	
مقدمة :.....	**01**
الفصل الأول : ليون روش في الجزائر (1832–1839م)	
المبحث الأول : ليون روش قبل التحاقه بجيش الأمير (1832 – 1837م).....	**09**
المبحث الثاني : ليون روش داخل دولة الأمير (1837 – 1839م)	**19**
الفصل الثاني : عودة ليون روش إلى الجيش الفرنسي ومهمته الجديدة (1839 – 1842م)	
المبحث الأول : عودة ليون روش إلى الجيش الفرنسي (1839 – 1841م)	**36**
المبحث الثاني : رحلة ليون إلى الحجاز (1841 – 1842م)	**41**
1) مهمة تونس ،مصر والحجاز	**41**
2) مرافقو روش ومساعدوه	**45**
المبحث الثالث : وصفه لمظاهر الرحلة	**48**
1) المسالك والمحطات	**48**

2) قافلة الحج ومعاملة الحجاج	**52**
3) ليون روش وشريف مكة	**53**
الفصل الثالث : طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية ودور ليون روش في رسمها (1842-1847م)	
المبحث الأول : طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية (1842 – 1845م)..	**57**
المبحث الثاني : دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية (1845- 1847م)	**63**
الخاتمة :.....	**80**
الملاحق:	**82**
قائمة المصادر والمراجع.....	**88**
الفهرس:	**94**

Résumé:

En 1832, Léon Roches va retrouver son père Alphonse qui s'est fait colon aux environs d'Alger.Il devait être pour lui à apprendre l'arabe pour pouvoir communiquer avec les indigènes algériens qui travaillent à la ferme de son père. Il connaissait l'une des femmes urbaines appelé "Nafissa" qui lui a réçu chaleureusement et elle le mis en relation avec le prof. Abderrazak ben Bassit. Dans une période de huit mois Léon a pu parler avec son prof en arabe. Bien que les contacts de Roches était d'abord avec les indigènes ,mais il eut des contacts avec les européens tout en allant à la pêche avec un certains nombre d'officiers appartenant aux groupe des tireurs de l'afrique.Au milieu de l'année 1833, Roches a été nommé lieutenant de la cavalerie et quand la première comité africaine a été venu en Algérie pour soumis les conditions des algériens,il a repris la tâche de faire la traduction entre les membres da la comité et le public arabe. Il a donc été nommé interprète principal au sein de la comité.

Cependant la succession des événements a augmenté les ambitions de Léon Roches vers le domaine militaire et d'être un officier au sein de l'armée française mais son père l'a empêché.

Lorsque l'emir a réuni une trêve avec le général Bugeaud,l'une de ses clauses permis aux musulmans de vivre où ils veulent. Roches alors a décidé de se convertir l'islam et d'offrir ses services à l'émir Abdelkader.

Léon Roche parvient auprès de l'émir et entrepris sa mission d'eespionag. Il fournit aux français des renseignements personnels sur l'émir,ses relations et sa politique. Ceux-ci qui ont profité de ces renseignements pour obtenir la victoire certaine cette fois-ci et Bugeaud a utilisé les rapports recueillis par Roches sur les conditions militaires et politiques du territoire d'Alger et d'Oran pour la planifications de ses campagnes militaires ce qui a donné lieu à la victoire sur l'émir à Taghdempt et Mascara en 1841.

Le général Bugeaud n'a pas seulement limité aux victoires militaires pour éliminer l'émir Abdelkader,mais il a aussi décidé d'utiliser la religion islamique pour affaiblir sa force.

A la fin de juillet 1841, Bugeaud chargea Léon de provoque une réunion des Ulémas de Kairaouan afin d'y faire adopter une fatouaprouvant que les musulmans ont tort de s'obstiner à combattre les chrétiens,et contribuant ainsi à arrêter la guerre sainte en Algérie.

Léon roches est parti au Kairaouan en compagnie de ses alliés Tidjinistes. Il obtint la fatoua du conseil des ulémas de Kairaouan et il continuait son voyage au Hidjaz passer par l'Égypte, habillé en musulman appelé "Omar ben Abdellah", afin de faire approuver la fatoua par les ulémas de la Mècque. Les ulémas de Al-Azhar, le Chérif de la Mècque et de Médine approuvèrent la fatoua.

Ls musulmans ont été touché par cette fatoua qui découragait leur détermination pour le djihad.Ils ont abandonné l'émir qui fut donc remporté par la France.

Les efforts de Léon Roches ne sont pas arrêtés à ce stade mais au délà de confondre l'émir Abdelkader au Maroc où il a été invoqué pour financer son armé. Roches est revenu à l'espionnage et il mis en place une agence de renseignement avec les indigènes alliés de la france et mis des espions au sein de l'armée marocaine et dans toutes les villes.

Grâce aux renseignements recueillis par Roches ,le général Bugeaud a pu remporterla victoire sur l'armée marocaine.

تمت وبحمد الله